فريق
متميزون
E-BOOK

محمد عبد السلام

انفصام

وقصص أخرى

دار اكتب

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

أنفصام

وقصص أخرى

محمد عبد السلام

عن المجموعة القصصية..

" فنجان قهوة لا زال ساخنًا، يتسلل البخار المحمل برائحة البن البرازيلي الطازج ليوقظ كل خلايا مخه.
تأكدّ أن ما يراه الآن بوضوح هو الحقيقة، لا شيء غيرها.
كان وجه مُحدثه مألوفًا بدرجة كبيرة، كأنه رآه مرارًا، أو كأنه يجمع في ملامحه قسمات كل من مر بهم في حياته، (أين رآه من قبل)، صوته هادئ منضبط الإيقاع، به طعم من لزوجة ملح البحر وخفوت أمواجه في الليالي الصيفية، قال وهو يشير له باحتساء القهوة قبل أن تبرد: - هل صدّقت حقًا مخاوفك؟! هل صدّقت فعلًا أنَّهم ضربوك وأهانوك وقطعوا أنفاسك؟! لا يا صديقي إنَّها مخاوفك أنت، إنَّها هواجسك أنت، أنت خائف في مهنة لا تعرف الخوف، تترقب شرًا يأتي في كل لحظة، تخاف من نسيان البطاقة الشخصية، تخاف من التفتيش في لجان المرور، تخاف من مُضايقات جيرانك، من سطوة زوجتك، من مطاردات عشيقتك الأجنبية، تخاف كل شيء، أرجوك لا تُلقِ باللوم علينا، ولا تُلصق بنا تُهمًا نحن لم نرتكبها....!! يُمكنك أن تعود إلى منزلك دون مراقبة ودون مضايقات، اطمئن....!!
وكأنَّه يسمعها لأول مرة في حياته، (اطمئن)....
مَن يتهم مَن؟! أولئك الملاعين يقلبون الآية، يريدون أن ينفضوا ياقات وأكمام بدلهم مِمَّا لحق به، يريدون أن يغسلوا أياديهم الغليظة من دمه وجراحه وأوجاع كرامته التي أهينت. "

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

إهداء

إلى روح قادمة...

إلى زمن قادم...

إلى أشياء كنت أحسبها لا تأتي بينما تلاحقني كظلي...

م. ع

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

إنَّهم لا يستحقون

قالت (داليا):

- صدقني يا عمي، لقد حاولت الاتصال به عشرات المرات، لكنه يُصّر على عدم الرد، أحيانًا يتعمد إغلاق المحمول حتَّى لا يسمع صوتي، لا أدري ما الذي ارتكبته في حقه؟ هو يعلم أنني كنت ولا زلت متمسكة به،

تعرف يا عمي أن (مروان) أضاع سنوات في أحلام لم يجن من ورائها شيئًا، حلم الصحافة تارة، وحلم تأليف الروايات تارة أخرى، وحلم السفر تارة ثالثة، في كل مرة كنت أشجعه، وأنتظره، وأعده أنني سأقف دائمًا خلفه إلى أن يحقق أيًّا من أحلامه، لكنه أضاع الفرص، فرصة تلو أخرى، تمامًا كما أضاع سنوات عمري في انتظاره.

والآن، لا يريد أن يسمع صوتي، يتخلى عني، عني أنا الذي تحملته وانتظرته وظللت على وفائي بعهدي معه.

أهكذا يكون جزائي....؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بين لحظة وأخرى يُلقي نظرة خاطفة على جهازه المحمول، ينتظر منها مكالمة، رسالة، مجرد رنة، كم مرة نظر إلى هاتفه اليوم سائلًا إيَّاه عن صوتها؟!

نظراته الخاطفة إلى محموله أدمنها حتَّى صارت سلوكا تلقائيًّا.

كأنَّه يتنفس، فهل بإمكانه أن يحسب أنفاسه؟!

يعرف أن (داليا) لم تكنْ يومًا مؤمنة به، تستمع إلى أحلامه ومشاريعه وآخر ما نشر له بعدم اكتراث، تهز كتفيها أو تبتسم بلا معنى ولا تزيد عن ذلك حرفًا، فإذا تكلمت اعتلت منبر الموعظة والإرشاد وكأنَّه ابن لها، كأنه -مثل أحلامه- قاصر، عليها أن ترشده إلى أهمية الانسجام مع الواقع، أن يلتصق بالوظيفة التي ستؤمن لهما حياة مضمونة.

(داليا) ليست إلَّا إنسان طموح، عيبه أنَّه أحبها، بل عشقها بجنون، أقنع نفسه أن طموحها أهم ما يميزها، وأنَّه قادر على إرضاء ذلك الطموح، بل أن من واجبه أن يفعل كي يثبت لها حبه الاستثنائي.

لم يكن يعرف أنَّه بالنسبة لها فرصة، ربما كانت تنتظر الأفضل، وها قد أتى.

- متأسفة، ليس بإمكانى أن أؤجل أحلامى في انتظار أحلامك أنت، أحلام التي لن تتحقق غالبًا، لكن أحلامي أنا سيكون هو كفيلًا بها وربما بما هو أكثر

منها....!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قال (أمجد):

- لا يرد على الهاتف، تصور أنني حاولت حتَّى أن أتصل به عن طريق الـ(شات) أو (الإيميل) لكنه يتهرب دائمًا، ابن حضرتك أصبح خارج الخدمة من كله.

لم يحدث كل ما يستدعي منه هذا الموقف والاختفاء المفاجئ، مجرد مقال تقدم به لرئيس التحرير، وتمَّ رفضه، الشهادة لله كان المقال أكثر من رائع، كل من طالعه أثني عليه، لكن المشكلة أن رئيسنا له تفكيره، ربما يكون ديكتاتورًا بعض الشيء، لكنه في النهاية رئيس التحرير، للجريدة أيضًا سياستها التي قبِلنا جميعًا الالتزام بها، خاصة في الظروف العصيبة التي تمر بها البلد حاليًا، لا أدري لماذا اعتبرها مسألة تمس كرامته هو، ما حدث معه يحدث معنا جميعًا، بل ويتكرر كل يوم وكل ساعة، لكن ما فعله -اسمح لي- كان رد فعل مبالغ فيه، ربنا يطمنك عليه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يعرف (أمجد) جيدًا، يعرف زيفه، يعرف أن له أكثر من وجه يقابل بهم زملائه ورئيسه وجيرانه، كم؟ لا يعرف، ولا (أمجد) نفسه يعرف كم وجهًا يمتلك!!

(أمجد) قادر على إقناع من حوله بالحقيقة وعكسها، بإمكانه قلب الأمور والإيحاء بأن ما تراه هو وضعها الطبيعي، قادر على أن يفلت من كل مرة تحسب فيها أنك قد أوقعته في لحظة المواجهة التي حتمًا سيخرج منها مفضوحًا عاريًّا أمام الملأ، لا فائدة، الانسحاب في وجود (أمجد) وأمثاله نوع من أنواع الشجاعة.

المقال الأخير تمَّ إيقافه بإيعاز من (أمجد) حين راح ذلك الأخير يملأ أذن الرؤساء في الجريدة بأفكار مخيفة عمَّا يمكن أن يطول الجريدة إذا نشر مقال كهذا فيه هجوم صريح وصارخ ضد (رموز البلد)، حين ضبط نسخة من المقال في مكتب (أمجد) بالصدفة راوغ الملعون، أقنعه بأنها مجرد نسخة فضل الاحتفاظ بها لفرط جمال الأسلوب والحرفية التي كُتِبَ بها.

الحقيقة أنهم كانوا قد أوكلوا لـ(أمجد) مراجعة المقال و(تنقيحه)، لم يزد على أن أحتفظ به يومين في درج مكتبه قبل أن يعيده ممتلئًا ببصمات القلم الأحمر قائلًا:

- صدقوني، لن يصلح مُطلقًا، وعلى أي حال بإمكانك أن تعرضوا عليه تلك التعديلات قبل نشر المقال!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قال (نبوي):

- والله يا بيه أنا لم أقصر في الاطمئنان عليه من حين لآخر، لكنه لم يعد يظهر، ولم يعد يناديني، لم أعد حتَّى أشعر به متى يخرج ومتى يعود، أظنه لم يعد يغادر الشقة، جرّبت أكثر من مرة أن أطرق باب الشقة الإيجار التي يسكنها لكن لم يردّ، كفى الله الشر، لولا أن صوت الموسيقى التي تأتي من داخل شقة الأستاذ تعلو حينًا وتنخفض حينًا آخر لظننت أنَّه بعد الشر مات، أو أصابه مكروه.

أنا طبعًا حريص على توصيل الجرائد له كل يوم من أسفل باب الشقة، وحياتك يا بيه لله، حُبًّا في الأستاذ والله، أعرف كم يعشق القراءة والاطلاع، مثقف، ربنا يفك ضيقته، ألم يكن يعمل صحفيًّا في (جرنال)؟!

هو ترك العمل أم في إجازة؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم يعد يربطه شيء بالعالم الذي يعيش فيه.

لا أخبار، لا مكالمات، لا أحد يهتم في العمارة كلها بمعرفة أي شيء عن أي ساكن أو جار، الأبواب تُغلق على قلوب وعقول أصحابها كما تُغلق على شققهم.

ثلاجته خاوية، لا يذكر آخر مرة زار فيها الطعام معدته، تأخر عن دفع اشتراك (الإنترنت) ففقد الخدمة في لمح البصر، الجهاز نفسه أصيب بعطب فشل في إصلاحه، ليس ثمّة سبيل لاستدعاء مهندس الصيانة.

التلفاز نفسه معطل منذ أكثر من عشرة أيام، حاول خلالها أن يقصد (نبوي) لإصلاحه، أخبره بـ(صريح العبارة) أن عليه ثلاثة جنيهات لم يدفعها بعد ثمنًا للجرائد، اعتذر له بأنَّه يمر بأزمة مالية، وليته ما فعل، بعدها انقطع عنه (نبوي) تمامًا.. لم يعد حتَّى مُهتمًا بأن يعرف إن كان مات أم لا زال يعاني الحياة.

معذور، هي جت عليه؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في النهاية لم يكن هناك بُدّ من استدعاء الشرطة.

الشرطة وحدها قادرة على اقتحام الشقة والتأكدّ من وجوده ومن كونه حيًّا أم ميتًا.

حين اقتحم رجال الشرطة الشقة وجدوه ساكنًا على مقعده.

يدهُ تقبض على القلم.

القلم مُنغرز في كومة الأوراق.

الأوراق -غير مبالية- تتناثر على المنضدة المتواضعة.

لم يدر ظهره ليتعرف حتَّى على شخصية مقتحمي شقته و.... عزلته.

أسرعوا جميعًا يتطلعون إليه.

كانوا أمامه جميعًا، (داليا)، (أمجد)، (نبوى).... وعشرات غيرهم، التساؤل يملأ أعينهم.

هل كانوا هنا فعلًا؟!

اشتم فيهم رائحة عفونة.

رائحة تشبه رائحة الموتى.

اقترب منه الضابط وانحنى يسأله:

- حضرتِك بخير؟!

أجاب بهزة من رأسه، وابتسامة مريضة، وحين لاحظ أن الضابط -بحكم مهنته- يتفرس المكان بنظرة سريعة ويتفحص ما تحتويه الأوراق، تحرك في كرسيه قائلًا:

- هذه رواية يا سيدي..... اسمها.

وأدار عينيه في وجوههم قبل أن يهمهم:

- "إنَّهم لا يستحقّون"...!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بنار الفرن

كما لو كان يدفع الأيام والسنين.

يدفع عم (حسنين) عربة البطاطا.

كما لو كان يدوس على ذكرياته فتصيبه آلامها بوخز ينبهه من نعاس مبعثه الكد.

هكذا يدوس على أسفلت الطريق بنعلين يتسرب منهما برد الطريق إلى قدميه، تضاعف البرودة من إحساسه بخشونة الحصى الذي يعوق سبيله.

يرفع رأسه، تتسع فتحتا أنفه فى كبرياء يأبى التنازل كما لو كان يملأ رئتيه بأكبر قدر من الهواء، يستعين به على قطع المسافات والشوارع.

كما لو كان وجهه يستمد سمته من ثمرات البطاطا التى يبيعها، لوحَتّه الحرارة، تبدلّت في بشرته حُمرة الدماء بسُمرة الشقاء والصبر والسعي الدؤوب الذي لا نهاية له.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ينتهى المساء، نهاية يجهل (حسنين) ساعتها، تتوقف قدماه عن تذوق الألم ووخز الطريق، تتدلّى ساعداه إلى جوار جسده الذي يتمدد في غير رغبة للاستيقاظ ومعاودة الحياة فوق (دكة) خشبية تستتر من مفاجآت المطر وصفير الرياح بمظلة أحد الدكاكين المغلقة.

فى خطوته وحديثه القليل حزن وأده القنوط والمعاناة منذ زمن.

في ندائه على البطاطا التي لا يعرف غيرها سلعة ليبيعها شرخ لا يستجيب لمداواة الطريق حين يمتلئ بالنكات وطرائف العباد وابتسامات الأطفال التي تستمد دفئها من دفء البطاطا في أفواههم.

- بنار الفرن يا معسلة قوي يا بطاطا....

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قبل عامين...

وبعيون تخلو من التساؤل راقب سكان المنطقة الهيئة المزرية لذلك الوافد الجديد، هيئة لا تناسب تلك الرائحة التي تحوطه فتثير الشهية، رائحة تسبقه تارة وتتبعه تارة أخرى، في عكس خطواته المتثاقلة يتطاير دخان غير كثيف محمل بحرارة ذلك الفرن الصغير القابع فوق عربة تآكل خشبها، الدخان- برغم سواده- يبث في الصدور والخيال إحساسًا بدفء مفتقد، لا سيما في

ذلك الطقس الشتوى، كان الجميع يستحثون الخطأ اتقاءً لمطر بدأت بشائر قطراته الأولى تتسارع، تنذر بانهمار خلال ثوان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

إلَّا هو.

خُطاه تألف الطريق بلا ضجر، تستقبل رأسه التي هجرها الشعر إلَّا من آثار ترابية اللون مطر الشتاء بلا مشاعر، بلا ردّة فعل تنبئ عن إحساسه بما يدور في الدنيا.

لم يكن في الدنيا ما يعنيه.

كان (منعم) أول من حاول الاقتراب منه.

لمْ يعرفْ (عم حسنين) في البداية كيف يناديه، ملامحه تنبئ عن عمر هو دون المشيب وفوق الشباب، هيئته تنم عن طبقة اجتماعية هي دون طبقة (البهوات) وأصحاب الأملاك، ودون فئة (الأساتذة) الذين بلغوا من التعليم شهاداته العليا، آثر أن يناديه باسمه مجردًا، شجعه ذلك الود الذي يغمر كلمات (منعم) حين يحادثه على إزاحة الرسميات والتكلف والبحث عن صيغ مصطنعة، مستهلكة للحديث.

- لا زال كلامك قليلًا يا عم (حسنين)، رغم إحساسي بأنك تحمل في قلبك ما يملأ جرايد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أكثر من مرة دعاه لمحل عمله، دكان إيجار من طابقين، في واجهته الزجاجية صور لبعض المشاهير الذن تسرسبت أسماؤهم من ذاكرة عم (حسنين)، تلك الذاكرة التي أصبحت أشبه بغربال مهترئ الأسلاك، واسع الثقوب.

- صحيح أنك صورت كل هؤلاء يا (منعم)؟!

- لا طبعًا ياعم (حسنين)، منهم نجوم ماتوا حتَّى قبل أن أولد.

يشير له بإصبعه الذي يتخير من بين الوجود والبراويز و(الكادرات) وهو يتابع الكلام.

- الحاجات الأبيض والأسود من إبداعات الحاج والدي... الله يرحمه.

تنادى أعماقه (عامر)، رغمًا عنه تناديه، ربما يترحم عليه الآن، كيف له ألَّا يراه كل هذه السنين؟!

- من (عامر) يا عم (حسنين)؟!

يفيق من شروده على سطوع مباغت لـ(فلاش) الكاميرا... تتغير الخلفيات من ورائه دون أن يشعر، ودون أن تشي ملامحه عن إحساسه بما يجري، ابتسامته تشبه عبوسه، كل تعبيراته تذوب في فراغ المكان نصف المضيء.

- ابني... هناك.

ترتفع يده بنصف إشارة لا تعي بالضبط ما تشير إليه.

- ابتسم يا عم (حسنين)، أين هو (عامر)؟! مسافر؟!

- تأخرت على عربة البطاطا.

يستأذن، يمشي كأنه مسحور نحو رائحة البطاطا التي بدأت تعلو وتنتشر، تذوب باقي عبارة (منعم) التى يودعه بهاحتي باب المحل، يتلاشى صوته بين نشاز الكلاكسات وخبط الذكريات على جدران النافوخ.

ربنا يرجع لك (عامر) بالسلامة يا عم (حسنين)، لا تيأس... آخر اليوم مر علىّ لترى صورك التي.....

تتوقف به الذاكرة في فترة الراحة عند لحظات بعينها، لحظات لها مذاق سكري يفوق حلاوة ثمرة البطاطا التي دسها داخل رغيف العيش الساخن استعدادًا لتناول غداء معتاد، يوم أن نجح (عامر) في الإعدادية رقص أمام العربة، ورقصت العربة نفسها، تمايل دخان الفرن وتسابق مع أنفاسه في ملء الفراغ أمام باب المدرسة على إيقاعات غنائه.

بنار العوازل يا معسلة قوي يا بطاطا... يا بطاطا....

يومها وزع كل ما لديه من بطاطا على التلامذة والأساتذة، نفح بواب المدرسة عشرة جنيهات، عاد إلى بيته قابضًا على الكف الصغيرة وخطواته تكاد تفارق الأرض طربًا، خسر إيراد اليوم وربح فرحته بنتيجة ابنه، اِستقبله أهل المنطقة التي يسكن فيها بالتهنئة وهدايا جنبت أمعاءهم شر الجوع ما تبقى من ساعات اليوم.

و الله إن رزقك واسع، وبيتنا عامر بك يا (عامر) يا ابني.

يقولها بثقة. يرددها أكثر من مرة.

يرددها وهو يغسل ربطة الجرجير التي ناولته إياها الست (أم نرجس)، وحين يسكب كيس الطحين الذي منحه إيَّاه الحاج (شاكر) البقال مازجًا إيَّاه بالفول الذي تحصل عليه من عربة الواد (ياسر)، حين يضرب رغيفي الخبز كلًا بالآخر نافضًا ما علق بهما من الردة وتراب الطريق تلتمع في عينيه دمعتان يناجي بهما صورة زوجته.

- والله لا ينقص فرحتنا إلّا وجودك يا أم (عامر)!!

تَربتُ عليه كف (عامر) الصغيرة لتزُيل ما تسلَّل إلى قلبه من ألم الفراق.

- هي معنا يا أبا (عامر)، وفرحانة أكيد، ألست أنتِ من يقول هذا دائمًا؟!

تُنبههُ الكف الصغيرة التي اِمتدت بعملة نقدية متواضعة -من جديد- إلى زحام الطريق، يكتشف أن رغيف العيش في يده كما هو، لم يفقد إلَّا سخونته!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بظهره ارتكن (شكري) الحلَّاق على العامود الفاصل بين دكانه واستوديو (منعم)، تطلَّع لدقائق إلى خطوة عم (حسنين) الوئيدة التي يذرع بها المنطقة ذهابًا وإيابًا.

راقب حتَّى غاب (حسنين) في أول منعطف قبل أن يعبر الباب الزجاجي لمحل جاره، نبهته يد (أمنية) عاملة الاستقبال التي تهتز كمروحة أمام وجهها وامتعاض ملامحها إلى ضرورة أن يطفئ السيجارة التي كانت بالفعل على وشك الانتهاء.

- (منعم) في المعمل... صح؟!

هكذا تعوَّد (شكري) الحلاق بما اِكتسب من سمعة في الحى بأنه -مثل مقصه وأمواسه- شخص بارد أن يُلقِي السؤال ثمَّ يواصل طريقه إلى الطابق الأعلى دون أن ينتظر إجابة أو إذن، مُتذرعًا في ذلك بالعشم تارة، وبحكم الجيرة تارة أخرى.

في سره يسب (منعم) الاثنين معًا،

- "ملعون أبو ده عشم على دي جيرة".

قليلًا ما يعطيه (منعم) ريقًا حلوًا.

يتظاهر بانشغاله ببعض الأعمال حتَّى لا يواصل جاره فضوله وسكب ما لديه من كلام لا يزيد عن عبارات أشبه بنميمة النسوة في الأعراس، لا يزيد ذلك (شكري) إلَّا اِلتصاقًا ورغبة في الإفصاح والتكلم والثرثرة و(دلق) الاستنتاجات عاطلًا وباطلًا.

- هذا الرجل وراءه سر... ألم يخبرك شيئًا؟!

- لا، هو قليل الكلام، أتمنى لو تتركه لحاله.

في غير لياقة يَقلِّب (شكري) بعض الصور المُتناثرة على منضدة صغيرة أمام (منعم)، يُراوغه عسى أن يخرج منه بمعلومة أو تُساعده كلمة هنا أو كلمة

هناك في ترتيب أوراقه واستنتاجاته:-

- أتعلم أنني سألته مرة عن ولده هذا فأشار إلى نقطة الشرطة القريبة ولم يتكلم، حاولت معه ولم أفلح، أيكون ولده محتجزًا هناك؟!

- مالنا وماله يا (شكري)؟!

يحاول (منعم) الفرار فيلاحقه حتَّى الطابق الأرضي، يبثه شكوكًا وظنونا مغموسة في السم.

- مالنا وماله؟ كيف تقول هذا، جائز جدًا أن يكون ولده هذا إرهابيًّا أو بلطجيًّا، أِنت عارف، البلد في هذه الأيَّام على كف عفريت، والأمن راح في ستين داهية، والـ(حسنين) هذا أصبح محسوبًا على المنطقة.

يجيبه غالبا (منعم) بصمت يصاحبه عبث أصابعه في أزرار محموله كمن ينوي إجراء مكالمة.

ينصرف (شكري) وهو يخلف وراءه همهمات ساخطة، لهمهماته -كما لسيجارته محلية الصنع- قدرة على تعكير هواء المكان، وتلويث الأفكار في ذهن (منعم)....

- أصحيح أن عم (حسنين) يعمل مُرشدًا للشرطة؟!

- هو أنا ناقصِك؟!

تسأله (أمنية) في سذاجة لا يحتملها الموقف. سذاجة لا يطيقها ذهنه الذي أصبح أكثر اِنشغالًا بعم (حسنين) بعد حديث (شكري) الحلاق!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تمر الأيام والشهور...

يُصبح عم (حسنين) جزءًا مألوفًا من المنطقة.

يلمحه أهل المنطقة وهو يسير كأنه ساعات اليوم وعربات الأجرة التي تملأ الشوارع المحيطة.

يرونه وهو يقف كأنه حال البلد وأعمدة الإنارة واللافتات.

يستشعرونه خائفًا كأنه وطن فقد الأمن والأمان، واستشرت في عروقه البلطجة والفتونة.

لم يعدْ غموضه يستثيرهم أو يرسب في أعماقهم ذلك الشعور بالريبة والتوجس، كل ما يدور في البلد لم يعدْ مفهومًا.

كلامه القليل لم يعد يستفزهم، كل القنوات والجرائد تثرثر ليل نهار، فهل وعوا منها شيئًا مِمَّا يدور؟!

أصبحت إشارته تجاه نقطة الشرطة القريبة، ونطقه باسم (عامر) لازمتين لا تزعجان المتعاملين معه، الكل قنع بفكرة تعرُّض ابنه لظِلم بيّن على يد رجال الشرطة، ربما قُبض عليه في مظاهرة، ربما لُفقت له تهمة، هل تعرّض لتعذيب في القسم فمات أو فُقد؟!

لا أحد يعلم له اسمًا أو نعتًا يزيد على هذا حرفًا واحدًا!!

وربما كان مذنبًا، من يدري؟! وهو عم (حسنين).... وكفى.

عم (حسنين) نفسه صار ذاهلًا عمَّا يدور حوله، يحتفظ عقله المسن فقط ببعض الذكريات التي يغفو ويصحو عليها، يتناول النقود من الزبائن بيد مرتعشة ويناولهم البطاطا بأصابع تعاني الوصول في خط مستقيم.

كانت أصابعه فيما مضى قويَّة عفية، من الصعب أن يفوقه أقرانه في لعب (الرست)، تربى (عامر) على القوة، يدعوه أحيانًا لمنازلته، هذه المرة سيثبت له ولده أنَّه كبر.

- سأُثبت لك أنك لن تكبر يومًا على أبيك.

تعانقت القبضتان، اِلتفت الأصابع تحكم ضغطها، عرقًا تشبث كل منهما بأمل ما، جز (عامر) على أسنانه في تحدٍ واضح كأنه ينازل عدوًا، تراخت أصابع (حسنين) بأمر مباشر من عقله الذي انشغل بتقلّص ملامح ابنه، كبر (عامر) بلغ تلك السن التي يزاحم فيها البنون آباءهم، شارب (عامر) اخضّر فجأة، صوته -على غير العادة- تفوح منه خشونة لم تألفها أُذن (حسنين)، تنازعت الأب مشاعر مُتضاربة بين الفرح والحزن، بين حمل الهم ومعانقة الطمأنينة، سيكون (عامر) سَنَدًا وعُكّازًا، ربما سيصبح (عامر) شوكة وحائطًا يميل عليه.

- ربنا يحميك، ويحفظك يا ابني.

قالها بصوت مبحوح وهو يرسم صورة لما سيكون عليه الغد، فقط يتمنى ألَّا يغدر به ظنه. فقط يتمنى.

تنهمر قطرات المطر فيرفع رأسه ويخفضها وكأنه يبحث عن اِبنه في مسافة فارغة بين الأرض والسماء، لكنه لا يعثر عليه أبدًا!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تَشَاركْ أنف الضابط الشاب وفمه في دفع دخان النفس الأخير في سيجارته المستوردة، حرّك عينيه لأعلى يُراقب بهما أشكالًا لا معنى لها رسمها الدُّخان

قبل أن تتبدّد في فضاء حجرة مكتبه، لم يدر عينيه عن مكانهما في السقف وهو يتكلّم.

- ما حكايتك بالضبط يا سي (شكري)، يعني لا عُدت تأتي بأخبار، ولا عُدت تُريد أن تُريني طلعتك الكريمة إلّا لو اِستدعيتك؟!

- لا يا باشا، لا تقل هذا... حضرتك تعرف جيدًا أنني خدّامك في المنطقة منذ سنين، لكن الحمد لله المنطقة أمان وكله بحِمى سعادتك، كلنا بدونك ما نسوى شيء.

تخرج الكلمات من فم (شكري) الحلاق وكأنها شعر زبائنه المتطاير، تتبعثرّ على أرضية حجرة المكتب! يطؤها حذاء الضابط الذي نهض من فوق كرسيه عاقدًا يديه خلف ظهره، يقترب من (شكري) تلتصق الكلمات بأذن مرشده لتُخرسه وتلجم لسانه فجأة.

- هذا الكلام تقوله لأمك، لأصحابك على القهوة، لكن هنا لا أريد أن أسمعه، مفهوم؟!

بصعوبة يبلع (شكري) ريقه وكأنه يبلع حصى الطريق دُفعة واحدة، صوت الضابط يأتيه بطيئًا بعد فترة صمت بدت لـ(شكري) وكأنها زمن، وكأنها سنوات عمره الملوث الذي قضاه في النميمة والكذب والوشاية بأهل منطقته.

- في راجل كلامه كثير عن اِبنه المحتجز في القسم عندنا.

تُقصد سعادتك عم (حسنين)، إنه مجرد رجل على قد حاله، لا يؤخذ بكلامه، حاجة لا تستاهل وجع دماغك يا باشا، تقدر تقول تخاريف رجل كبير و.....

تُخرسه نظرات الضابط كأنَّها حجارة قُذِفت في وجهه فنالت من لسانه وشفتيه.

- هو إنت يا روح أمك أصبحت تُحدّد ما يستاهل وما لا يستاهل؟! اسمع... كل ما يخص هذا الرجل أريدك أن تنقله لي من غير زيادة، ولا نقصان.

- حاضر يا باشا....

يصمت (شكري)، يستجمع ما لديه من بقايا ليُلقي الكلمات كأنَّها ذرات تراب، كأنَّها رذاذ الكولونيا المخلوطة بكمية مُبالغ فيها من السبرتو والتي يكوي بها وجوه الزبائن بعد حلاقتها.

- هو كل كلامه عن ابنه، اِسم الله على مقام سعادتك، لا يزيد عن الإشارة للقسم، ومناداته بصوت لا يسمعه إلَّا هو، الشهادة لله أنَّه لمْ يقلْ حتَّى بصريح

العبارة إن ابنه عندكم.

- وما اسم ابنه هذا؟!

- اسمه.....

تُلجمه اللافتة الموضوعة على مكتب الضابط، تصطدم عيناه بالاسم المُدّون فوقها بخط فارسي أنيق.

- اسمه (عادل)، نعم (عادل)... هو تقريبًا يُرددّ هذا الاسم يا باشا.

- تعلم أنني أكره كلمة تقريبًا يا (شكري) اذهب الآن، ومن الآن تأكّد من كل كلمة تنقلها لي بخصوص هذا الرجل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في كل مرة تُرغمه الظروف على دخول مكتب هذا الضابط يحبس (شكري) تنهيدة إلى أن تأتيه يد الضابط بإشارة الانصراف دون حتَّى أن ينظر إليه، تنهيدة تخرج كل ما في جوفه من راحة ممزوجة بسخط مشفوعة بسباب ولعنات على المنطقة وضابطها وكل من فيها، في تلك المرة أطلق (شكري) قدميه لتسبقا دعوات زائفة لـ(الباشا) بأن يُطيل الله عمره وأن يُبقيه من أجل أمن وأمان المنطقة.

انطلق (شكري) تاركًا وراءه الضابط الشاب بين أفكاره ودخان سجائره.. انطلق دون أن يربط وعيه المتواضع وعقله وقلبه الغارقان في خسة التجسس والوشاية بين الاسم المدون وعم (حسنين).

"خيرًا فعلت، لا يصح أن يكون اسم ابن بياع البطاطا هو اسم الباشا".

أقنعه عقله بأن ما فعله الصواب حين آثر ألَّا يُدنسّ اسم مأمور القسم الشاب (عامر العوايدي) بسيرة (عامر) الآخر، ابن عم (حسنين) دون أن يجهد عقله بإيجاد أية علاقة، ودون أن يعي أن (عامر العوايدي) هو نفسه (عامر حسنين العوايدي)

ابن بائع البطاطا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- لماذا تُصّر أن تُعرنيّ بعربة البطاطا هذه؟

- عربة البطاطا هذه هي التي جعلتك ملء هدومك، ضابط في كلية الشُرطة، الآن تستعر منها.

يبدو صوته محطمًا، كسيحًا أمام عجرفة الابن وجحوده.

- دعك من هذا الكلام الذي ملأ أفلام ومسلسلات فات زمنها، لقد سئمته، وكرهت عربة البطاطا، وكرهت عيشتى بأكملها.

- هذا ليس كلام أفلام يا ابني، هذا كلام من قلبي، قلب أبيك الذي رعاك، وكبّرك، وجعلك بني آدم، وتُشقِه الآن بكلامك هذا.

- زملائي كلهم وكل معارفي لا يكّفُون عن مُعايرتي بمهنتك، ألَّا يمكنك أن تجد بديلًا لها؟!

- من عايرك؟! لم تُعايرك إلَّا نفسك، حتَّى جارنا (علي) بك الذي توسّط لك لتدخل الشرطة يعرف أصلك وفصلك، الرجل لم يقل حرفًا حين قصدته لذلك المعروف....

- وهو بائع البطاطا محكوم عليه يعيش ويموت ليبيع البطاطا؟!

تُغالبه دموعه فتغلبه، تمتزج بكلماته التي تخرج من صدره وكأنها -مثل البطاطا- مكويّة بنار، نار الحسرة والألم.

- المشكلة لم تعدْ في أن أجد أنا بديلًا لمهنتي، المشكلة هي أن تجد أنت بديلًا لأبيك، عوضي على الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مع الأيام آل نداؤه الشجي على البطاطا إلى حشرجة، شيئا فشيئًا يكاد لا يسمع، الناس تمنحه النقود وتتلقى منه الكيزان الملتهبة بلا كلمة، يكتفي فقط باسم (عامر) وإشارة من ذراعه التي أصبحت -مع الوقت- تجهل إلى أي صوب تتجه بالضبط، ورغم ذلك كانت مجرد الإشارة -ولو من بعيد، ولو من غير وجهة- تُقلِق (عامر) الذي انشغل بمراقبة أبيه عمّن سواه، أرسل له من هدّدوه فلم يفهم عم (حسنين) من كلامهم شيئًا ليرتدع، داهمت الحملات الباعة الجائلين فلم تُصب في مقتل سوى عربته هو قبل أن تنصرف عن باقي رفقائه في الطريق والشوارع، كأن عربته هي المقصودة دون غيرها، يتطلع إلى العربة في يأس، كيزان البطاطا التي تفعصت تحت الأقدام بدت أمامه وكأنها نتف من جسده، كأنَّها قلبه، كأنها عشرات القلوب لآباء وأمهات مثله كان جزاؤهم إدارة ظهور الأبناء وإعراض وجوههم.

لم تعد هناك بطاطا، سكت الدخان في جوف الفرن الصغير، تناثر خشب العربة على أسفلت الشارع كأنَّه أجساد المتسولين والغلابة.

اختفى صوت عم (حسنين).

ثمَّ اختفى عم (حسنين) نفسه....!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بدا ذلك اليوم وكأن لا نهاية له.

صوت الانفجار الذي أصم الآذان وانتزع الصرخات من الحناجر كان له وقع غريب.

كان له وقع الاحتجاج.

كان له وقع الحزم والصرامة.

حزم الأب.

وصرامة العقاب.

ومع ذلك لمْ يدع الدخان الأسود المتصاعد كأنَّه أثواب حداد متطايرة، ولا ألسنة اللهب التي بدت كأنَّها شياطين تعاني الجوع في قاع الجحيم فرصة لسكان المنطقة ليتبينوا ما الذي حدث؟ كانت فقط أصوات الصراخ والعويل تسري بين عساكر وجنود قسم الشرطة دون أن يتبيّن أحد مصدر ذلك الفعل الإرهابي، ولا متى وقع....

حاول الجميع إخماد النار المندلعة، حاولوا إسكات ذلك الصوت الزاجر، حاولوا أن يبقوا على الأرواح الكائنة داخل المكان.

لكن بلا جدوى.

ومن بعيد...

كان هناك حافيًا يجُرّ قدميه جرًّا على الأسفلت، يُعاني شروخًا لا سبيل لإصلاحها، يرفع ذراعه ويخفضها كأنَّه عسكري مرور مبرمج على إشارة واحدة دون غيرها.

ودون أن تُفرج شفتاه عن حرف من بين آلاف الكلمات السجينة في زنازين صدره هتف.

- بنار القلب يا معسلة قوي يا بطاطا... يا بطاطاااااا....!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

اطمئن

في اللحظة التي وطئت قدماه أرضية المكان طمأنوه أنَّه هنا لمجرد الدردشة، وأنَّه لا داعي للقلق، فلا هو مُدان في جريمة، ولا هم مُمسكون باتهام ما ضده.

الآن... حين يدير عينيه في المكان يشعر وكأنه يراه لأول مرة، ربما تكون غرفة أخرى من غرفهم التي لا تنتهي، تتشابه في كآبتها، صمتها، رائحة العنف والعويل، دخان السجائر والإضاءة الخافتة التي تخفي أكثر مِمَّا تبدي للناظرين، وتختلف فقط في المساحة وارتفاع السقف ونوع الأرضية ولون الجدران.

عقله -بين اليقظة والنوم- يستعيد رويدًا... رويدًا تفاصيل الليلة التي اقتادوه فيها، الليلة التي صار يفصله عنها زمن لا يدري بم يقدره، بالساعات، بالأيام، وربما بالشهور!!

الوقائع كلها كأنَّها بقايا لصورة يحاول أن يلتقط أجزاءها.

الآن يتذكَّر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان الحفل الغنائي في دار الأوبرا المصرية قد انتهى لتوه في ساعة متأخرة من الليل، صافح صديقه المطرب "ج" مثنيًا -مثل مئات غيره- على أدائه الذي أسر القلوب، وعلى اِختيار كلمات أغانية الجديدة بحيث مست جراحًا يعاني منها الوطن، لم يتبادل مع سائس الجراج الذي أوقف فيه سيارته كلمة، يشعر بدوار خفيف، ربما تأثرًا بالسهر بعد يوم عمل طويل في تغطية الأحداث، منح السائس أكثر مِمَّا يصبو إليه، رد السائس تحيته النقدية بابتسامة لم يفهمها، ولم يحاول أن يشغل عقله المجهد بفهمها.

في الطريق لاحظ أكثر من مرة أن ثمة سيارة رمادية تتبعه، حسبها في البداية مجرد مصادفة، إلى أن بدأ يزيد من سرعة سيارته في محاولة لإنهاء هواجسه ومراقبته مرآة السيارة بين ثانية وأخرى، قطعت السيارة الرمادية الطريق عليه، أشار راكبوها إليه بالنزول (كم كانوا يا ترى؟!)، اِمتثل لإشاراتهم الصامتة، تقوده أذرع الحيرة وتوجسه من مجهول.

الآن يتذكَّر أنَّه لم يسترجع لسانه إلَّا حين صار محشورًا بينهم في حيز داخل السيارة، حيز ضيق، ضاعف من ضيقه بنيان مطارديه، وإجهاد يتسلل من العقل إلى باقي حدود الجسد.

- من حضراتكم؟! هل لي أن أعرف؟!

أجابه الصمت، ومُحّرك السيارة الذي بدأ يرتفع هديره إيذانًا برحلة إلى المجهول.

- فقط أخبروني إن كان هذا اختطافًا أو أنكم تتبعون جهة أمنية؟!

توقّع أن يُعصّبوا عينيه كما يحدث فى الأفلام، إلَّا أنهم لم يكونوا في حاجة لذلك، الطريق طويل يلفه ظلام لا يبدده إلَّا ضوء كشافات السيارة، كان من المستحيل أن يعرف أو حتَّى يستنتج أي وجهة يسلكون!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الممرات طويلة... طويلة... سار فيها و كأنَّه لا نهاية لسيره، ذراعاه تلتصقان بجانبي جسده اِمتثالًا للحارسين اللذين أحاطا به عن اليمين وعن الشمال، قدماه في حذاء سميك الجلد، طويل الرقبة، حذاء يناسب برودة الليل في يناير، ورغم ذلك.

رغم ذلك كان بإمكانه أن يستشعر قساوة الجدران وفظاظتها في اِستقبال الزوار، وأن يحس لسع البرودة المنبعثة من جوف الأرضيات الرخامية.

حين انفرد به مُحدثَّه بعد انتظار استمر لأكثر من ساعة في مكتب متواضع الأثاث، كانت الأسئلة تعصف برأسه، صوت مُحدثِّه كأنَّه يأتي من بعيد، كأنَّه يبنعث من سراديب حفرت على بعد أميال في أمعاء الأرض، كان قصير القامة، رأسه حليق، له عينان، إحداهما تتوتر في حركة عصبية بين لحظة وأخرى، لا يعرف لِمَ تذكَّر سمكة القرش حينما ابتسم محدثه ابتسامة لم تتكرر طوال باقي (الجلسة).

- اطمئن.. مجرد دردشة وسوف تنصرف سريعًا، نحن لا نتهمك بشيء.!!

سأله عن اسمه، سنه، طبيعة عمله، آخر من قابلهم من أصدقاء.

مرّت نصف ساعة والأسئلة التي يوجهها إليه صاحب الصوت البعيد ليس بها ما يثير الريبة، لكن... كيف لهم ألَّا يعرفوا تلك المعلومات البسيطة؟! كان هذا في حد ذاته دافعًا لإثارة كل أصناف الارتياب والتشكك في نواياهم، من هم؟!

ربما مر يوم وهو يجيب على نفس العينة من الأسئلة التى تبدو -بإجاباتها- قد ملأت صفحات الملف القابع على مكتب محدثه، ذي الصوت البعيد.

حين نقلوه إلى غرفة أخرى كان معصوب العينين، لم يرَ وجه محدثه، لكن الصوت كان في هذه المرة أشبه بصوت آلي، الحروف تخرج ولها أزيز يشبه ذلك الذي تصدره الكائنات الآلية في حواديت وأفلام الأمريكان.

- اطمئن... تعاونك معنا سوف يساعد في إنهاء الأمر سريعًا....!!

لم يدر ما الأمر الذي يعنيه محدثه، وكيف له أن ينتهي إذا عاونهم؟! بل وماذا لديه ليعاونهم به؟!

كانت الأسئلة هذه المرة جافة، تنغرز في أدق خصوصياته، عقله ينزف -مُرغمًا- تفاصيل يخفيها حتَّى عن نفسه.

سأله محدثه عن علاقته بأبويه، عن عاداته السيئة في مرحلة المراهقة، عن علاقاته النسائية، وكان يُجيب.

كان يعرف أنَّه لا مفر من أن يُجيب.

فيما يحسبه يومًا ثالثًا نُقِل إلى غرفة جديدة، كان في هذه المرة شبه محمول على أكتاف بعضهم، كان للإرهاق وقلة الطعام بصمة واضحة على قسمات وجهه وملابسه، الصوت في هذه المرة جهوري، ينضح بالعصبية في كل سؤال، بل وفي لحظات الصمت، وكأن هناك شيئًا يحترق في داخل الغرفة.

يشتّم أنفه رائحة دخان يكاد يطبق على أنفاسه، وبما تبقى لعقله من طاقة سأل نفسه:

- أهنا حقًا ما يحترق في داخل الغرفة أم هو توتر محدثه؟!

اطمئن....

لم تطاوعه أذناه هذه المرة، فلم تلتقطا باقي العبارة، يكفي أن تبدأ العبارة بكلمة: (اطمئن) ليصم أذنيه عمَّا يليها، أصبحت (اطمئن) بالنسبة له مفتاحًا يفتح في كل مرة باب سرداب طويل لا يكاد يبلغ آخره حتَّى ينفتح غيره، أمَّا لهذا الحلم المرهق من آخر؟!

حين انتقل إلى غرفة جديدة لم يسمع (اطمئن)، بل لم يسمع أي صوت، فقط بعد انتظار لا يدري مدته شعر بأجساد تحيط به، أجساد تفوح منها رائحة عرق نتن، ربما قضوا معه ساعة في الغرفة.

ربما...

الأمر المؤكد أنَّه تألَّم، صرخ، شعر بأطرافه كأنها تتفتت، شعر بجلده يتمزق، يحترق، لم يكن يتصور أن للدم لزوجة تصيب بكل هذا الفزع، لم ينس زواره قبل أن يفارقوه مسألة نقله إلى غرفة جديدة، وفيها نطق لأول مرة بشيء خلاف الإجابات التي ينتظرها محدثه:

- من حقي أن أعرف لِمَ أنا هنا؟! وبأي حق أتعرض لكل هذه الإهانات؟!

أجابه مُحدثّه بسيل من الأسئلة عن تغطيته لأحداث (الفوضى)، علاقته بالتنظيم المحظور، مكالماته الليلية لأصدقائه من خارج مصر.

لفرط إعيائه أسقط نصف الإجابات وأجاب عن النصف الآخر بعبارات مختصرة لم تُرضِ مُحدِثّه والذي لم يميز لصوته هيئة ولا سمتًا معينًا.

عرضوا عليه في غرفة جديدة دولابًا يمتلئ ببدل الرقص الشرقي، أرغموه على اِختيار واحدة وارتدائها، الصوت الذي أتاه هذه المرة كان قاسيًا فظًا مثل جدران المكان، باردًا مثل أرضياته الرخامية.

- اطمئن... هذه القضية سنغلقها اليوم... سواءً تكلمت أم لم تتكلم.

ميّز صوت إيقاع على سطح مكتب خشبي ورنين ملعقة على زجاجة نصف ممتلئة، جسده يئن ويرتجف، آثار الضرب والتعذيب تأكل من خلاياه، ترسل به في بئر عميقة، وحين أطل برأسه خارجها كان قد انتقل إلى غرفة أخرى.

كانت الغرفة هذه المرة نموذجًا للفخامة والتأنق، ألوان الستائر وقطع الأثاث اُخْتِيرت بعناية، السجاد أسفل قدميه يبث فيه إحساسًا بالاسترخاء الذي يصل حد النعاس، على مقعد جلدي وثير كان يجلس، مقعد أكسبته المساند الجلدية المزيد من الفخامة، وقدرة أكبر على احتواء الجسد الملقى فوقه، انتبه إلى كونه يمسك في يده فنجان قهوة لا زال ساخنًا، يتسلل البخار المحمل برائحة البن البرازيلي الطازج ليوقظ كل خلايا مخه.

تأكدّ أن ما يراه الآن بوضوح هو الحقيقة، لا شيء غيرها.

كان وجه مُحدثه مألوفًا بدرجة كبيرة، كأنه رآه مرارًا، أو كأنه يجمع في ملامحه قسمات كل من مر بهم في حياته، (أين رآه من قبل)، صوته هادئ منضبط الإيقاع، به طعم من لزوجة ملح البحر وخفوت أمواجه في الليالي الصيفية، قال وهو يشير له باحتساء القهوة قبل أن تبرد:

- هل صدّقت حقًا مخاوفك؟! هل صدّقت فعلًا أنَّهم ضربوك وأهانوك وقطعوا أنفاسك؟! لا يا صديقي إنَّها مخاوفك أنت، إنَّها هواجسك أنت، أنت خائف في مهنة لا تعرف الخوف، تترقب شرًا يأتي في كل لحظة، تخاف من نسيان البطاقة الشخصية، تخاف من التفتيش في لجان المرور، تخاف من مُضايقات جيرانك، من سطوة زوجتك، من مطاردات عشيقتك الأجنبية، تخاف كل شيء، أرجوك لا تُلقِ باللوم علينا، ولا تُلصق بنا تُهمًا نحن لم نرتكبها....!! يُمكنك أن تعود إلى منزلك دون مراقبة ودون مضايقات، اطمئن....!!

وكأنَّه يسمعها لأول مرة في حياته، (اطمئن)....

مَن يتهم مَن؟! أولئك الملاعين يقلبون الآية، يريدون أن ينفضوا ياقات وأكمام بدلهم مِمَّا لحق به، يريدون أن يغسلوا أياديهم الغليظة من دمه وجراحه وأوجاع كرامته التي أهينت.

كم من الوقت مرّ؟! هل سعى أحد للسؤال عليه خلال فترة تغيبه؟! ماذا سيقول لزوجته حين ترى ما يبدو عليه من إعياء وآثار جروح حتمًا لن تلتئم سريعًا؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

استقبلته زوجته بعبارات تنطقها بين النوم واليقظة!!

ألم يساورها أدنى قلق عليه؟!

كان أداؤه بطيئًا وهو يخلع ملابسه أمامها، يحاول أن يخفي الشوارع والمطبات التي ملأوا بها جسده، بينما جسده يصيح داعيًّا إيَّاها للانتباه إلى ما لحق به، لدهشته لم تُعلّق، لعلها نائمة، لعلها لم تلحظ شيئًا بعد في نور الأباجورة الخافت، اقترب منها.

- ألّا تلاحظين شيئًا.

رآها تحاول فتح عينيها بأقصى ما أوتيت من نشاط يخمده كسلها باحتراف.

علا صوته متوترًا:

- جسدي... ألّا تلاحظين شيئًا غريبًا في جسدي؟!

صدّق عينيها المتسائلتين بغير ادعاء.

- جسدي... إنَّه مصاب... مليء بالجروح والكدمات، إنَّه ينزف.

هل نجح الملاعين في إخفاء معالم جرائمهم على خريطة جسده؟!

تفحصته عيناها وأصابعها بانتباه أكثر، احتضنته تُهدئ من روعه، كاد يبكي حين سمعها تقول:

- أنت سليم تمامًا... إنَّه الإرهاق فقط، اطمئن....!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أطياف

مرجحة.

(آية) تبكي... يعرف أنَّها لن تنام إلَّا إذا وضعها بين ذراعي (الأرجوحة) وأخذ يطوحّها برفق للأمام وللخلف حتَّى يغلبها النوم، أصبحت تصدر صريرًا مُزعجًا يشكو منه الجيران، بحث عن علبة (الشحم) وسط أدوات العِدد لكنه لم يجدها، لو كانت (ثريًا) لا تزال معه لأتت له بما يريد قبل أن يرتد إليه طرفه، كانت -رحمها الله- تعرف موضع كل شق في الشقة الواسعة.

يُداعبها أحيانًا قائلًا بنبرة تقع بين الامتنان والإعجاب.

- يُهيأ لي أحيانًا أنك أنت من بنى هذه الشقة حتَّى وكساها بالدهان والسيراميك!!

ينتبه إلى ألبوم الصور في زاوية من صندوق يحوي كراكيب قديمة، يُخرجُه، ينفض عنه غبار العمر والهموم، يشتته تقليب صفحاته لدقائق عن بكاء (آية) أغلب الصور تنتمي لزمن الأبيض والأسود، قبل أن تتلوّن الدنيا ويتلوّن الناس، كانت تكفيك نظرة لرماديات الصورة لتُميّز -بخيالك البِكر- خُضرة الشجر وزرقة السماء.

يتوقف عند صورة تجمعه ببعض الأشخاص، تبوح خلفيتها بأنه اِلتقطت في حديقة أحد القصور بما يظهر من أشجار وبرامق ودرج رخامي فاخر، وقبل أن تشده أمواج الذكريات يفيق على الصمت الذي غمر الشقة.

لقد نامت (آية)... دون حاجة للمرجحة....

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فـُسحة.

منذ بدأ وعيها يتشكلّ في سن السادسة أخبرها الحقيقة، كان لديه قناعة أنها -أي الحقيقة- ستكون أسرع وصولًا من تلك الإجابات التقليدية المفعمة بالمواربة ومط الأحداث وتطويلها مثل مسلسل درامي سخيف.

- بابا وماما يا (آية) توفاهما الله، وقمنا بدفنهما، هما الآن ليسا موجودين بيننا على الأرض.

- يعني لن أراهما أبدًا؟!

- سنتقابل جميعًا بأمر ربنا، لكن بعد وقت، ربما شهر، وربما سنوات طويلة.

ربما أدهشه استيعابها السريع للحقيقة واستسلامها لتفسير غيبة أبويها دون ضجر أو ألم نفسي، أدهشه الأمر بقدر ما أسعده وأزاح عن عقله وقلبه ما كان يظنه همًا ثقيلًا، أخبرته فقط أنهما أوحشاها فأجاب بأنهما سيزوران معًا كل شهر المكان الذي أصبحا فيه.

ومن جديد أدهشه أن تبدو (آية) في كل مرة سعيدة بزيارة المقابر، حتَّى حين شبّت وأدركت ما معناها، وما معنى أن ينزل الجسد الذي كان يلعب ويقفز ويأكل ويستمتع بالنور والهواء إلى غرفة مظلمة ليسكن فيها إلى الأبد، دون طعام، بلا هواء، بغير الناس الذين ألفهم وألفوه.

أدركت كل هذا وأكثر، وكانت في كل مرة تزداد سعادتها بزيارة قبر أبويها، تعتبرها فسحتها المفضلة!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

استغمايَّة

تُتقن (آية) فن الاختباء من جدها كلما لعبًا (الاستغماية)، لا ترهبها الأماكن المغلقة مثل الدواليب والسندرة القديمة التي أصبحت ترعى فيها أحيانًا بعض الحشرات، قادرة عليّ على أن تمكث وقتًا طويلًا دون أن تصدر صوتًا أو يصيبها الملل من الانتظار وإخفاق جدها المتكرر في إيجادها.

أعياه البحث ذات مرة فجلس يُقلب في ألبوم الصور، لم يشعر بها حين أتت تتسلل من خلفه، لم ينتبه إلَّا على إصبعها الذي امتد إلى نفس الصورة التي تجمعه ببعض الأشخاص في حديقة القصر.

- تركتني وتركت اللعبة لتنشغل مرة أخرى بهذه الصورة يا جدو؟!

ابتسم في حنان، وضمّها بذراع واحد بينما كانت ذراعه الأخرى تسند الألبوم على حجره.

- لقد أوحشاني جدا... ما رأيك لو زرناهما غدًا؟!

يعلم مسبقًا ردها، يعلم أن وجهها سيفصح عن ابتسامة عريضة وهي تهز رأسها بالقبول غير المشروط.

- هل من الممكن أن نزور أيضًا قبر جدو (نعيم)....؟!

.....!!!!؟؟

- كانت حلوة جدًا ڤيلا جدو (نعيم)، أليس كذلك؟!

سألت في براءة لم تناسب السؤال الذي لم يكنْ ليسأل من الأساس.

لم يخبرها عن الشخص الرابع الذي يقف إلى جوارهم من قبل، ولا أين اِلتقطت الصورة، (نعيم) حتَّى ليس جدًا مباشرًا لها، إنَّه شقيقه هو... حاول أن يقنع نفسه بأنَّه ربما أخبرها بأشياء ونساها في غمار المسؤوليات وسنوات عمره التي أوشكت على النفاد.

حين نظر إليها كانت تبتسم،وتسأله أن يكملا معًا لعب (الاستغماية)!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لعبة

ذات مساء اقترحت عليه لعبة.

إيه يا (آية)، كبرت وأصبحت تبتكرين اللعب، تضعين أنت الشروط والأحكام، يباري عقلك الشاب الذي لم يتجاوز السادسة عشر عقلًا رأى من الدنيا ما رأى وعرك الحياة وأفاعيلها فيفوق عقلك عقله!!

- وما هي اللعبة؟!

دسَّت في يده كومة عشوائية من ورق الكوتشينة، أخبرته أنَّها ستحاول تخمينها، وعليه أن يخمن مثلها، يربح اللعبة من يحصد أكبر عدد من التخمينات الصحيحة، وافقها دون إلحاح، كان عقله قد وقع في دوامة الفضول، يريد أن يقطع خيوط الشك بحد اليقين، يريد أن يحسم أمرًا ظل لشهور وسنوات يحذر الكلام فيه أو مناقشته حتَّى داخل عقله.

- كيف تعرفين يا (آية)؟!

- هزت كتفيها وابتسمت وهي تقول:

- أعرف... فقط أنا أعرف.

- هل رأيت أخي (نعيم) من قبل؟!

- أجابت وكأن الأمر لا يعنيها:

- رأيته، ورأيت الفيلا التي كان يمتلكها، ورأيت أبي وأمي....

صمتت فاستحثها على مواصلة الكلام، فقد بلغ فضوله ذروته وبدأ يستحيل قلقًا يمازجه شعور بالرهبة.

- وماذا ترين أيضًا؟!

- أرى أشياءً كثيرة، في نومي وكذلك وأنا مستيقظة....

يفكر في الأمر ويعلم أنَّه ينذر بما قد يسيء إليه وإليها.

- لكنك عاقلة يا (آية)، عقلك يسبق سنوات عمرك، لن تتحدثي مع الأغراب في أمر كهذا، لا أشك في هذا، كنت سأعرف لو بدا منك بين أقرانك في المدرسة أو أمام الجيران ما يثير الريبة، أو لو كنت تحدثت مع أي منهم كما تتحدثين معي الآن...!!

هكذا قرّر، وهكذا سيكمل سنواته معها قانعًا بما يرضي عقله الهادئ المتزن، واثقًا في رجاحة عقلها وحسن تصرفه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

خطوبة

عرفت (آية) كيف تتفوق في كلية الطب.

لا تُخيفها الأجساد المتيبسة السابحة في زرقة الموت، ولا تعيقها رؤية دماء تغطي أطرافًا ورؤوسًا، زيارة المشرحة بالنسبة لها -على عكس زملاء دراستها- حدث مثير يستحق أن تحفظه الذاكرة وتستمتع باسترجاع ذكرياته، تقص تفاصيله على جدها وكأنها تروي وقائع نزهة أسبوعية، يرجوها أن تتوقف حتَّى ينتهيا من تناول الطعام.

- سأتوقف بشرط، أن توافق على (سليم).

يجيب خجلًا يرتسم على خديها بنظرة تحمل حنان السنين، يضمها إليه فرحًا، آن له أن يخرج ما في صدره من عذابات السهر والقلق وأوزار المسؤولية في تنهيدة حارة، شاكسها بأنَّه لن يوافق إلَّا بعد الفحص والتدقيق، داعبته بمواصلة الكلام عن المشرحة والجثث و.... و.....

- خلاص... موافق... موافق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بدا له (سليم) شابًا ناضجًا، متأنقًا في ملابسه بلا مبالغة، كلامه قليل، إجاباته مختصرة بقدر عقلانيتها ولباقتها، عرف أنَّه يسبقها بعام واحد في نفس الكلية، ينتظره مستقبل لا بأس به حال تعيينه معيدًا، وظيفة مهد تفوقه الطريق لها، صارت قاب قوسين أو أدنى مع توطيد علاقاته بأساتذته واعتمادهم بعضهم عليه في عياداتهم ومراكزهم الطبية الخاصة.

أدهشه أن يكون (سليم) مثل (آية) فاقدًا للأم والأب، يرى أن من واجبه أن يطلع زوج المستقبل على أسرار (آية).

لكن يعلم الله يا بني أنَّها كانت ولا زالت نعم الابنة، لم تنل تلك التفاصيل العارضة يومًا من رجاحة عقلها ولا من وزنها للأمور... (آية) ملتزمة تجاه كل من تعرفهم، صادقة مع نفسها بقدر ما هي صادقة مع الجميع....

لم يمهله (سليم) لإكمال ما بدأه، قاطعه بأسلوب لم يخلُ من اللياقة قائلًا:

- (آية) فهمتّني كل شيء يا جدى، وكل من حولها يشهد لها بأضعاف ما تقول، صدقني حين أقول لك أن اختيارى لـ(آية) هو نعم الاختيار.

بين (سليم) و(آية) يلحظ ابتسامة ترفرف، كأنَّها رسول يحمل البشارة ويؤكد عزم النية، ابتسامة بدت معها الملامح كأنَّها لشخص واحد....!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

زواج

امتلأت الليلة بكل أشكال البهجة، أدى المطربون كأفضل ما يكون، رقص العروسان ورقص الجميع حولهما، زميلات (آية) تجمعن خلفها، ينتظرن لحظة تحمل فألًا سعيدًا لمن سيصيبها الدور، ألقت (آية) باقة الزهور، لم يرَ أيهن التقطتها، تشغله (آية) بفستانها الأبيض وطرحتها، وتاج جعلها إحدى أميرات القصص، لم يصب شيئًا من (التورتة) الفاخرة، لكنه استشعر حلاوتها في لسانه، كان آخر من اِقترب من البوفيه، يكتفي بالاطمئنان على أن كل مدعو حاز نصيبه.

لكم انتظرت هذا اليوم يا (آية)، هل لي أن أنام الآن دونما قلق؟! لكن كيف يكون النوم دون أن تبكي فأهيئ لك الأرجوحة؟! كيف هو مذاق السعادة دون أن أصحبك في فسحتك الأسبوعية؟! كيف تصبح المتعة بغير أن تغلبيني كل مساء في لعب الكوتشينة؟! صرت زوجة يا (آية) تمنحين الآن قلبك وجسدك لمأوى آخر، كيف يا ترى سأستقبل نهارًا أنت لست فيه؟!

حين استقلت السيارة إلى جوار (سليم) عصته دموعه التي جاهد طوال الليلة ليبقيها حبيسة مقلتيه، رآها تلتفت إليه، تلوح من خلال زجاج السيارة الخلفي في نشوة، أجابها بكف ترتعش بدلًا من أن تلوح، صعب هو الوداع مهما تكرر، مهما مر بنا وحفظنا ملامحه، ومهما أوهمنا أنفسنا بكونه زائرًا تقليديًّا.

-الوداع يا (آية)....

لم يدر هل نطق بها أم أبقاها حبيسة تؤنس دموعه؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نهاية

وحدُه يُقلّب في صندوق الكراكيب.

يعيد تقليب ألبوم الصور التي يحفظها.

من زاوية خفية في جوف الصندوق تطل أطراف جريدة قديمة علاها شحوب الوحدة فزاد ورقها اصفرارًا على اصفراره، يمسك بها، يجذبها متوخيًّا الحذر فلا تتمزق، ينفض عنها غبارًا كأنَّه تجاعيد الزمن، أكثر من أربعة وعشرين عامًا مرت على إصدارها، هكذا يقول التاريخ المدون في شريط رفيع يعلو (مانشيتًا) عن انقلاب سيارة السفير المصري (شوكت السعدني)، صور الضحايا باهتة تختلط فيها التفاصيل، تظل الأسماء أسفل الصور واضحة، تنكأ جراحه.

السفير (شوكت السعدني) السيدة (أمنية) حرم السفير الطفلة (آية) ابنة السفير.

يترك الجريدة لتسقط من جديد في جوف الصندوق، ربما تكذب، ما أكثر ما تكذب الجرائد فتُميت أحياءً وتحيى أمواتًا!!

الجدران حوله تدور، تدخل الخيالات إلى رأسه وتخرج دونما استئذان.

يتسلل إلى أذنه صوت (آية) في الغرفة المجاورة.

تبكي، فيعد لها أرجوحتها لتنام.

تنتظره عند باب الشقة ليذهبا في فسحتهما الأسبوعية.

تلاعبه الاستغمايَّة، و تختبئ منه في السندرة بالساعات.

تقلب بيديها أوراق الكوتشينة في الشرفة، تستعد لتغلبه.

تبتسم ويبتسم لها، تأخذه من يده، يذهب معها -أخيرًا- إلى حيث يجد جوابًا شافيًا يفسر له كل ما سبق....!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الذي عــاد

حين واجهها بأمر خيانتها أجابته بابتسامة، ابتسامة حملت كل سمات المكر الأنثوي، وقدرتهن على المراوغة، بعضًا من الاستهزاء، كثيرًا من عدم الاكتراث، ولم تنسَ أن تودعها بعضًا من جاذبيتها التي طالما دفعته للتعلق بها وملاحقتها حتَّى أصبحت قيد فراشه.

تكون ابتسامتها دائمًا -ودون عمد أو اصطناع- جاذبة لكل من حولها.

تتأمل صورته، الابتسامة لا تُفارق شفتيها، تتسلّل إليها الآن -أيضا- صفرة التشفّي، والشماتة يأتي صوتها ملونًا بألوان البشر على اختلاف نوازعهم وينابيع الشر المدفونة في أعماقهم.

- إنك لم تُثر شفقتي يومًا واحدًا بالمناسبة، إنك تستحق كل ما آلت إليه الأمور، لست تعلم كيف يكون شعورك وأنت تُنتهك في غفلة منك، وأنت تعرض جسدك كل يوم ليغزوه الدنس وتدوسه الآثام باسم الحق الشرعي وعقد كُتِبَ في عجالة وثمن زهيد لا يتجاوز بضعة آلاف، لكنه كان كفيلًا بأن يغوي أسرة تبحث لها عمَّا يسترها حتَّى داخل غرفة نومها، تصوّر؟!

يغشاه الصمت وهو ينفث دخان السيجار ويستمع إليها كأنَّه لا يعرفها.

لكنه يعرفها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لاحقها كثيرًا رغم فارق السن، رغم معرفته بأن لها جسدًا لا يبلغ أغواره إلَّا جبار عتيد، ورغم إداركه أن بريق الذهب لن يُعمي عينيها الواسعتين عن تفاصيل الصفقة التي يوقع بنودها فوق جسدها كلما وأتته فرصة، وأن رائحة العطور المستوردة التي تستحم بها لن تملأ صدرها فتزيل عنه ضباب الكراهية والنفور.

طوّحت عيناها ملامحه بعيدًا، وأشاحت تجاه دولاب الملابس الذي ينوء بحمله، راقبها وهي تفتحه، تزيح شماعات الأطقم الفخمة التي تماشى أحدث صيحات دور الأزياء العالمية وكأنَّها تزيح أيامها وساعاتها التي انقضت تحت ضغطه ولُزُوجة جسده الهرم.

تختار زيًّا لم ترتده أبدًا في وجوده، تُحدِّث صورته مرة أخرى.

- كنت أعلم أن هذا اليوم آت لا مفر، أتذكر كم مرة سألتني أن أرتدي هذا الثوب؟ أراهن أنَّك لا تذكر، تشغلك أموالك وأساطيلك ومصانعك عن البشر، إنَّهم لديك لحم تتلمسه وتتظاهر بالزهد فيه سريعًا لأنك تجهل كيف تشبع منه.

إنَّه الثوب الوحيد الذي طلبت منك شراءه لي، الثوب الوحيد الذي منحت فيه لنفسي حق الاختيار، ربما في غفلة منك لو انتبهت وقتها إلى ما منحته لنفسي من حق لسلبتني إيَّاه فورًا ورفضت شراء ذلك الثوب لي. أعرف كم تتلذّذ بفكرة أن تمنح وتمنع وفق ما تهوى....

تتجرد من ملابسها وكأنها تتجرد من خشونة جلده الملتصق بها، وكأنَّها تخلع عنها أنفاسه ورائحته ونظراته التي لا تشبع، وأصابعه التي لا تُتقن فن الملامسة، حين تدخل في الثوب الذي اختارته تبدو وكأنها أميرة بحق، تمنح نفسها فرصة لاستنشاق هواء الغرفة بعد أن تفتح ضلف النافذة على مصراعيها، لمفصلاتها صرير وكأنَّها بوابة زنزانة تفتح بعد قضاء حكم بالمؤبد.

- إنَّه الثوب الذي حلمت بنفسي كثيرًا أرتديه له هو.... هو من أحبّني وكافح لأجلي لتفوز أنت بي في النهاية لقمة سائغة تكتفي بأن تلوكها كُلَّما سال لعابك....

ملامحه جامدة كصورته التي تحدثها بين حين وآخر، دخان سيجاره يلفه بعناية حتَّى يكاد يحجبه عن متاع الغرفة... يلقى سيجاره في عصبية مستنفرًا قواه ورغباته وإصراره على ملاحقتها أينما كانت.

- لن ترتدي هذا الثوب أبدًا، لن تصيري متعة لغيري مهما حدث....

أصابعه تسبق صوته، يحاول أن ينشب أظافره في الفراغ المحكم بين نهديها وياقة الثوب، تمر أصابعه في فراغ لا يفهم مصدره، تباغته ضحكاتها، تفلت منه، أو هكذا تصور... تحتضنها المرآة، تبادل صورتها المنعكسة غزلًا بغزل، أنفاسها المنتشية تكاد تخنقه، تستفزه وكأنها تسحب هواء رئتيها منه....

لكم صار يكرهها.

- أعرف كم صرت تكرهنى، وأعرف سِرّ ذلك، هل تظنني عشت غافلة عن خياناتك التي كنت تستمد منها رجولتك المنقوصة كل ليلة؟!... لا زلت أذكر تلك الليلة التي عدت فيها إلى الـڤـيلا لأجدها متكومة في ركن الحمام تبكي، أخرى مثلي تصبر على أمثالك ممن يحلو لهم تدنيس الأجساد وفرمها تحت عجلات ذكورة مشوهة، كنت أنت غارقًا في نومك بينما هي تتقيأ أحزانها مع دنسك في الحوض، صدقني لم أكرهها، على العكس، لقد أشفقت عليها مِمَّا تخيلته قد أصابها وهي تتقلب فوق شوك فراشك، نظرتها الفزعة لم أنسها حين رأتني تخيلت أنني زوجة وصاحبة بيت ستفعل بها الأفاعيل وتفضحها على الملأ، حين أخذت رأسها في حجري وحكيت لها، أدركت أنني مثلها، ربما أدركت أنَّها أقل تعاسة فتوقفت دموعها وسكن غليان حسرتها، فهي ضحية لليلة، ليلة واحدة، أمَّا أنا فكنت ضحية أبديَّة لك.

لاحظ أنَّها لم تلتفت إلى أي من أدوات التجميل والمساحيق المحنطة أمامها، ملامحها تزداد ألقًا مع نور الشمس الذي تسلل من النافذة على استحياء يتحسس أي شكل من أشكال الحياة داخل غرفة لم يألف جدرانها ولا ساكنيها من قبل، حين أطلقت العنان لشعرها أثاره ما تمتع به من حرية زادته بهاءً وحلاوة لم يذقها من قبل، كل هذا لا ينفي حقيقة كونها خائنة، لماذا تنجح في الإفلات كلما استشعر قرب إحكام قبضته عليها؟!

يجب أن تنال جزاءً عادلًا.

لن يدعها تتمتع مع عشيقها بثروته.

يخرج مسدسه، يلصقه بجبينها الذي زاد سطوعًا بنور الشمس، إصبعه يحاور الزناد في توتر، لا زالت تدور في الغرفة مفعمة بالحياة، كأنَّها تراوغ الموت كما تراوغه، كأنّ إحساسها باسترداد الحياة يعصمها من الموتن خزانة المسدس تلفظ طلقاتها، طلقة تلو أخرى دون جدوى.

لماذا لا تموت؟!

أي عجز أعاقه عن قتلها وتحقيق انتقامه؟!

لآخرة مرة – في حضرته- تخفض بصرها إلى الأرض، تتأمل صورته التي استقرت تحت أقدامها.

- أعرف أنك تكرهني لأنني لم أخنك، كل ما عانيته في حياتك لم يجعل مني بغيًّا ولم يدفعني لأسقط أمام نفسي، تعلم أن الفرص واتتني عشرات المرات، كنت تعرف وتراقبنى وتتلذّذ بما ظننته أنت يثير في داخلي شعورًا بالعذاب والحرمان، لم يحدث هذا يومًا، لم أعان يومًا وأنا أرفض خيانتك، ولم أندم على فرصة جاءتني لأصبح مثلك وأدرت لها ظهري، أظن أن هذا يؤلمك الآن... أليس كذلك؟! في الوقت الذي كنت تنتظر فيه لحظة كهذه لتثبت لنفسك أنني لا أختلف عنك كثيرًا، هل صدقت حقًا أن مثلك ينتقم لأجل مسألة تتعلق بالشرف؟! لا، كنت فقط تريدني أن أسقط مثلك، أن تقودني كراهيتك للضياع والنهاية، لذلك تشبثت بالحياة رغم محاولاتك المستمرة لتسلبني إياها، لذلك لم أمت رغم أنك كنت تقتلني في كل ليلة....

أنت تخسر....

- قالتها وهي تحكم منديلها الأبيض الحريري حول رقبتها قبل أن تغادر الغرفة تاركة شمس النهار تسكنها، يدرك الآن أنَّها في مأمن من مكره ومن أظافره ومن رصاص مسدسه، يدرك أنَّه قد غادر دفء الفراش وحيّز الغرفة التي زادته الشمس براحًا بلا رجعة، يدرك أنَّه قد تعرّى من كفنه الأبيض أمامها، وأن صورته التي هوت تحت قدميها لن تنتصب على الحائط من جديد.

الآن يراقبها وهي تهبط درجات السلم الرخامي، تتهادى في ثوبها الأنيق، يُلقي بجسده مسلوب الحياة محاولًا أن يتشبث بذيل ثوبها، يحاول يائسًا منعها عن لقائه، أن يُبقيها في سجن الكراهية الذي تفنن في بنيانه دهرًا طويلًا، أصابعه لا تتجاوز الفراغ، تصطدم بالجوانب الخشبية المتآكلة التي تفوح منها رائحة الموت والعفن، يلمحها وهي تفتح باب الـقـيلا الحديدي بقوة، حسب أن سنواتها معه قد اعتصرتها، ابتسامتها للزائر تزيد من عمق قبره، تقضي على كل أمل له في العودة والانتقام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تستقبل حبها القديم بين ذراعيها، عازمة على ألَّا تفلته مرة أخرى، مأخوذًا بثوبها يعانق كفها الرقيقة بكف قوية أودعها كل الحنان والطمأنينة، حين تغادر معه أسوار الـقـيلا يكون قلبها قد نفض أتربة الشقاء، تسبح مخيلتها في بحر من الذكريات البرتقالية، يقينها بأنَّها دفنت كل بغضاء السنين مع جثمانه قبل شهرين أثلج صدرها، رغمًا عنها لم تجد مانعًا وهي تحتضن الدنيا مع حب عمرها من أن تهمس:

- سامحه الله... ربنا يرحمه....!!

سرعان ما انشغلت بتهيئة جسدها وقلبها لاستقبال النهار.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انفصام

في وجوده لن يكون أمامك إلَّا أن تستمع.

تستمع لما يثرثر به فقط... ثرثرة لا يوقفها صخب المطر المنهمر في الشتاء، ولا لُزُوجَة العرق في شهور الصيف.

ثرثرة تبدأ بجلوسك أمامه ولا تنتهي بمغادرتك المنضدة التي تركها أصحابها له خصيصًا في زاوية المقهى.

ستستمع رغمًا عنك حتَّى ولو لم تجد فيما يقوله ما يعنيك.

ستستمع حتَّى يفرغ من كلامه، وحتَّى يفرغ المقهى من زبائنه، وحتَّى تُفرغ أنت نفسك من أية طاقة أو رغبة تدفعك للإتيان بأي عمل فيما تبقّى من الليل.

ربما هي ملامحه التي تضج ببساطة أقرب إلى بساطة الأطفال وهم يروون قصصًا من نسج الخيال.

ربما هي حركاته وسكناته التي تشبه طقوسًا استبقاها من أفلام الستينيات التي ينتمى إليها زمنيًّا حين يجلس أمامي ليلعب الطاولة، فتجده يمعن في رجرجة الزهر بين كفيه، ثمَّ ينفخ بينهما، وكأنه يتلو ترنيمة حظ يستدعي بها (الدُش) أو (شيش الجُهار).

ربما صوته الذي يبدو وكأنه يأتي من بئر سحيق، يأتي ليسحبك دون عمد منه وبلا وعي منك لقاع البئر الذي يسكنه.

والله المسألة ليست مسألة المائة جنيه المعاش، إنها مجرد مائة جنيه في الشهر لا تقدم ولا تؤخر، ألا تعرف أن البيضة تخطى سعرها الجنيه، لكن مسألة المبدأ نفسه.

يعلم وأعلم جيدًا كل ما يقول، وما سيقول... أجدني منصتًا رغم كل شىء ليعيد القصة وتفسير أبعاد المشكلة، تمامًا كأنك تشاهد فيلمًا قديمًا تعرف بداياته وأحداثه وما ستؤول إليه مصائر أبطاله، ورغم ذلك لا تغادر كرسيك، فتظل تتابعه وكأنك تراه وتسمعه لأول مرة.

لقد ظللت ملتزمًا في دفع اشتراك النقابة طوال 14 سنة قضيتها في السعودية، آه و الله كما أقول لك، إلى أن حدثت مشاكل بين فرع النقابة في إسكندرية والنقابة الرئيسية في القاهرة، وأخطروني بخطاب رسمي بتأجيل تحصيل الاشتراكات.

أعرف جيدًا -كذلك- أنه بعد عودته دفع ما تأخر عليه، مبلغًا يتجاوز الألف جنيه، قبلتها إدارة النقابة قبل أن يخبروه أنَّه غير مستحق للمعاش، فلجأ إلى (اللايحة)، و لا زال يلجأ -بلا جدوى- إلى (اللايحة)... الاسم الحركي لدستور النقابات والمؤسسات في مصر، والتي يلجأ إليها الجميع في حسم ما التبس من مسائل وقوانين وعقوبات وحقوق، يلجأون إليها رغم معرفتهم المُسبقة أن اللوائح ليست إلَّا شكلًا آخرًا من أشكال التحايل واستغلال الثغرات و(تقييف) النظام تبعًا للحالة ومكانة صاحبها.

حين يسكت برهة أخرج من بئر صوته لأستنشق بعض الهواء، أرسل نظراتي هنا وهناك، أميز بها سريعًا ما يدور حولي، أحرك القشاط الأبيض تبعًا لما يأتي به حجر الزهر، أؤدي الحركة بآلية تخلو من أية حميمية بيني وبين اللعبة، آلية لا تناسب براعته في ممارسة الطاولة وعشق مفرداتها، العلبة الخشب، المثلثات ذات الرؤوس المدببة وكأنها عثرات الزمن أو نتؤات حفرتها خطوب الأيام على وجهه، زهري الطاولة اللذين يلخصان فرص الفوز والخسارة بين أرقام من واحد لستة، أحجار القشاط بصراحة لونيها، تلك الصراحة التي لا تعرف الرماديات، ربما أمهلني صمته وقتًا لأتساءل بين تحريكة وأخرى:

- هل أخذت دوري بالفعل...؟

أُلاحظ دائمًا (برهومة) صبي المقهى الذي لا يكف عن التطلع باتجاهنا بين حين وآخر قبل أن يهمس في أذن أحدهم، أو يحرك لسانه بـ

"لا حول و لا قوة إلا بالله".

أرى وجه الحاج (عبد الكريم) صاحب المقهى، وهو يجلس أسفل صورته، يكاد يشبهها في كل شىء حتَّى أن المسألة لتلتبس عليّ فى بعض الأحيان في تمييز الأصل من الصورة.

أرى وجوهًا أحسب ذويها وكأنهم كانوا جيرانًا أو أصدقاء مقربين في زمن مضى منذ أيام وربما سنوات.

حين أعود من (الفاصل) الافتراضي، أكتشف أنَّه قد بدأ من جديد -بالفعل- وصلة الثرثرة... هل فاتني جزء مهم...؟! ربما... لكن لا ألقى بالًا لهذا... غدًا سأكون أكثر انتباهًا حين يعيد ذلك الجزء.

أولادي كلهم باسم الله ما شاء الله، من تخرج في الهندسة، و من تخرجت في كلية الصيدلة، ومن تعيش في أمريكا مع زوجها وأولادها.

يطلق تنهيدة ممهدًا لأكثر الأجزاء مأساوية في ثرثرته.

لكن حال الولد (محمود) ابني الصغير هو ما يقطع القلب، باشمهندس إلكترونيات قد الدنيا، سافر ليبيا قبل أن تقوم الثورة بأربع سنوات، لكن يا ولداه لم يكنْ له بخت، كل ما ادخره أخذته الثورة، حتَّى (أمنية)... حب عمره لم تطق الانتظار بعد أن عرفت أنه لا فائدة من الانتظار وأنه خسر كل شىء... معذورة... هي الأخرى بنت... وجميلة ومرغوبة، و لا تريد أن يفوتها قطار الزواج، بعد ما رجع قفل باب غرفته على نفسه... اِكتئب، والحالة تدهورت بعد ما اكتشف إن فرص العمل هنا أصبحت شبه معدومة... أنا والله ما قصرت، آخر طبيب كشفنا عنده قال بيعاني من "انفصام"....

يصمت... أعلم أنَّه على وشك بأن يضع لمسته... أن يرسم تعليقًا على ما يرويه... يفضل ألَّا يكون مجرد راو للأحداث... أعلم عنه عشقه لبرامج التحليل الإخبارى.

طبعًا... هي الأخبار تساوي حاجة بدون أن تحللها وتفهمها....؟!!

لا زال (برهومة) يحرك شفتيه، حين يطول الحاج (عبد الكريم) طرف قميصه يجذبه، يرغم نصفه الأعلى على الانجناء حتَّى تطاول شفتا الحاج الذكوريتان الغليظتان أذن برهومة التي يبدو أنها تشكلت لتلائم نداء الزبائن، والتقاط الأحاديث الهامسة وتوصيات المشاريب وعبارة "الحساب كام...؟!".

الحاج (عبد الكريم) لا يستطيع أن يمنع نفسه من النظر باتجاهنا... أفهم من سياق المشهد المكثف والذي لا يستغرق أكثر من ثوان أنه يحذر (برهومة) من تكرار التطلّع إلينا، وأن يُركّز في شغله أحسن....

- يعني عايش بنفرين...

- (يضحك بلا ضحكة) قال انفصام قال...!!

يقولها وهو يطرقع بحجر قشاطه في خشب الطاولة، كأنه يمنح الحديث المؤثرات الصوتية اللازمة، كأنه يمهد بطرقعته لإزاحة الستار عن عرض يستحق الانتباه والمتابعة.

أنا راضى ذمتك، هل رأيت في بلدنا من لا يعيش بنفرين؟! الواحد منا عايش بثلاثة أو أربعة أنفار داخله... نفر يقابل به مديره، ونفر يقابل به زوجته، ونفر يكشّر به في وجوه أولاده، ولو كان له حرمة عاشقها فعليه أن يوفر لها نفرًا احتياطيًّا....!!!!

يبدو كوب الشاي وقد كف عن بث أبخرته، أدرك أنَّه قد أصيب بنزلة برد من أثر نسمات الليل الباردة التي تلف المكان في تلك الساعة المتأخرة، يفاجئنى (برهومة) برفع الطاولة قبل أن أنهي أنا ومحدثي ما بدأناه، أهم بتوبيخ

(برهومة) وتعنيفه على قلة ذوقه، تستوقفني غمزة من طرف عينه، وأصابع نحيلة تضغط على معصمي في رفق أفتقده منذ أعوام.

- ارم واء ظهرك، لا تعكر دمك، ثمَّ أنك في كل الأحوال مغلوب، لماذا تتعشم في إكمال اللعب إذن...؟

ابتسم مقلدًا- رغمًا عني- ابتسامته، أنهض بعدها لأسنده وأتسند على ثرثرته حتَّى باب المنزل القديم في أول الشارع، نور مصابيح الشارع يبدو شاحبًا كأنه يعاني المرض، أقول لنفسي:

- من كان يقصد (برهومة) بهذه الكلمات، يصبُّها على مهل في أذن الحاج (عبد الكريم)....؟!

والله كان زهرة المنطقة، خسارة يروح عقل الباشمهندس (محمود) في هذا المرض، علاوة على وفاة والده، لخبطت له ما كان متبقيًا له من عقل، كل يوم ييجي القهوة يأتي ليجلس على نفس كرسي والده الله يرحمه ويسرح بنظره في الطاولة...!!

تلتقط أذني قبل كلمة النهاية صوت الحاج (عبد الكريم)، يبدو وكأنه يأتي من نفس البئر.

- الطف بعبيدك يارب...!!

أبتعد لا أنوي على شيء سوى مقابلته في يومٍ تالٍ؛ لأستمع إلى ثرثرته التي لا تأتي بجديد، ولا سبيل للإفلات منها...!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جــريــمــة

- أرجو أن تكون أمينًا في تسجيل كل ما سأصفه الآن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الزمان: عشية عيد الميلاد المجيد.

المكان: صالة الشقة الواسعة التي يُصفّر بين جدرانها هواء يناير البارد، الهواء الذي يدخل إليك من نوافذ تُــركت مفتوحة على مصارعها، كل مصابيح الشقة الفاخرة مُضاءة، ثمّة موسيقى تنبعث من ركن في غرفة النوم، آخر ما تبلغه خطواتك في طرقة طويلة تمر خلالها بالمطبخ وحمامين وغرفة معيشة خصصت للكتب والموسوعات دون غيرها.

كيف لك أن تتحمل صقيع الشتاء ممتزجًا برائحة دم طازج فلا يشيب رأسك؟ كيف ستتكئ رأسك على الوسائد فيغالبك النوم؟! أقادر أنت على الإقلاع عن شراهتك في التدخين ونبذ فناجين القهوة البرازيلية التي تتسابق ساخنة إلى حلقك فنجانًا تلو الآخر؟!

الآن بإمكانك أن تتأمل الجثث الثلاث.

اللحم الذي يبدو وكأن آلة جهنمية قد فرمته، العظام التي برزت عن مواضعها وكأن الجحيم قد أرسل شياطينه يعيدون تشكيلها فبقيت على هذا النحو المخيف، لقد تعذب الثلاثة برؤية قاتلهم (أو قاتليهم) قبل أن تفرّ أرواحهم من متاهات الأجساد، ما أجمل الدنيا حين تنتهي عذاباتها ولو بالموت، ملامح الجثث تشِي بتفاصيل الدقائق، وربما الساعات، التي سبقت إزهاق أرواحهم، أرجو ألَّا تسد أذنيك، أرجو ألَّا تحجب ستائر الإنسانية المصطنعة التي نتفنن في نسجها خيالك عن رسم الصورة كما هي.

- من قتلهم؟

هه، هل صدقت حقًا أن الشياطين يمكنها أن تفعل ذلك؟! إنهم -القتلة- من بني الإنسان، تمامًا مثلي ومثلك.

تقرير الطب الشرعي الذى حدد -بشكل نهائي- هويات أصحاب الجثث زاد الأمر غموضًا و.... رعبًا.

الراقصة (راندا سالم) المشهورة في الوسط الفني لراقصات الصف الثاني باسم (روني) غابت عن جميع حفلاتها التي وقعت عقودها قبل ثلاثة أشهر من ذلك التاريخ، أُغلِق محمولها قبلها بثمان وأربعين ساعة.

حين يئس أصحاب العقود من إيجاد سبيل لها انشغلوا بمحاولة ملء الفراغ الذي سيطيح بالليلة وأرباحها، لم ينتبه أي منهم في غمار مداواة الأزمة إلى أنَّها قد تكون الآن مقتولة، أو تعاني عذاب ما قبل الموت.

لم يظهر (ربيع منظور) لمدة أسبوعين بعد شهادته على عقد قران ابنة أحد المسؤولين الكبار، طبقة اجتماعية تفنن منذ ظهوره في الالتصاق بها، كاد معها أن يقطف إحدى الحقائب الوزارية لولا متغيرات سياسية أطاحت بأقطاب النظام الجديد، قبل حتَّى أن تألف كراسي السلطة تفاصيل مؤخراتهم.

هو واحد من مئات سبقت أسماءهم في العشر سنوات الأخيرة كلمة (داعية)، كلمة تقع في منطقة رَمَادية بين الصفة والمهنة والـ(إكسسوار) الإعلامي.

ثمّة موعد أخلفه (صبحي شنودة) مع موظف الشهر العقاري في ذلك الصباح، لم تكنْ هناك تفاصيل لدى مدير مكتبه، أتبَع المندوب كأس العصير بكوب الشاي، لم يجد مَفرًا من الانتظار، ألصقته بالمقعد قيمة (الإكرامية) التي أغراه بها (صبحي) للعبث في بعض الوثائق، يعرف (صبحي) كمُحامٍ مُخضرم أن القضية كبيرة، ويدرك الموظفان المقابل أكبر، كلاهما -القضية والمقابل- يستاهلان المجازفة، صوت رنين المحمول على الطرف الآخر (تسبقه إحدى الترانيم الدينية) يأتي رتيبًا، مُستفزًا، يعلن في إصرار تأجيل الميعاد أو إلغائه.

عقد إيجار الشقة (مسرح المذبحة) الذي عثرت عليه بعد تفتيش دقيق لا يشير إلى أي منهم، المستأجر مجهُول، مجرد اسم بلا هوية واضحة، أمَّا مالك الشقة فقد غادر (مصر) كلها بعد تأجيرها بيوم واحد، كيان لا يقل عن المُستأجر غُموضًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هل أثرت فضولك؟!

أرجو أن تتحرى الدقة والأمانة في تسجيل كل ما أقول، فلا تسقط التفاصيل سهوًا ولا إهمالًا -مهما بلغت تفاهتها- من أوراقك.

أي خيط خفيّ من وجهة نظرك ممكن أن يربط بين خطايا الثلاثة بحيث يكون مصيرهم واحدًا، وأن يأتي على هذا النحو المفزع؟!

من يملك القدرة ليجمعهم في مكان لا يمت بصلة إلى أي منهم؟!

من اختار هذه الديكورات، وأطلق تلك الموسيقى؟!

من فتح النوافذ وأضاء المصابيح وتحيّن ليلة عيد الميلاد ليلطخها بحمرة الدم ولُزُوجتُه؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كل من عرفوه عن قرب أجمعوا أنَّه لم يكنْ مُتدينًا البعض رموه بالإلحاد، ربما كانوا على حق.

قال أحد جيرانه:

- الأستاذ (صبحي) لم أرُه يحضر قُدّاس الأحد من قبل، هل تتصور أن مكتبه يعمل حتَّى في أيَّام الأعياد؟!

هل تتصور أنت أنَّه يُعطي موعدًا للتزوير والرشوة في يوم يتكرر مرة كل عام؟!

أقصد عيد الميلاد المجيد!!

بعض الأجهزة الأمنية التقطت في الأيام الأخيرة عدّة مكالمات هاتفية بين (ربيع) وأحد أعضاء البرلّمان المُنحلّ، الحوارات أشبه بالكلمات المتقاطعة، مجرد كلمات تتناثر دون رابط مُحكم يجعل منها سِياقًا واضح القسمات والمعالم، البعض فسرها بأنَّها شفرة لتنفيذ هجمات إرهابية على بعض المُنشآت الأمنية.

سألت زميلي (عصام):

- منذ متى وهو موضوع تحت المراقبة؟!

أجابني وهو يحدق من نافذة المكتب الذي يتسع بالكاد لمكتبينا:

- لا تهتم بتلك المسألة كثيرًا، القضية بأكملها تُوشك أن تسير نحو المجهول!!

لم أعُرّ ملاحظته انتباها، ربما لا يعني -حقًا- ما قال.

- (عصام)، مالك وهذا الدولاب اللعين؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تتردد (راندا) منذ أكثر من ثلاث سنوات على أحد ملاجئ الأيتام، تلاحقها مجلات الإثارة وصفحات الفن في بعض الجرائد الأسبوعية لتنشر حولها الأقاويل، لا تهتم، الشائعات قد تزيد من سعر لياليها بين بنات مهنتها، بعض الصحفيين يُسبّحُون بمكارم أخلاقها في سُبل الإحسان وطُرق البِرّ، يفعلون ذلك مقابل أثمان تتنوع بين بضع مئات من الجنيهات وبين تذاكر مجانية لحضور حفلاتها في أفخم الفنادق والمنتجعات، أماكن لا تطيق رواتبهم ارتيادها ولو ادخروها مُجتمعّة لستّة أشهر كاملة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- أرجوك، لا تنشغل عن قصتي بالتطلع إلى ذلك الدولاب.

ماذا فيه ليثير اهتمامك إلى هذا الحد؟ ربما كانت قصتي لا تعنيك، ربما أصابتك بالملل، لكنَّها حسب اعتقادي أهم من تحدّيقك في هذا الصنم الحديدي الصدئ!!

- هل تجمّعت لديك أَيَّة خيوط؟!

أتنتظر مزيدًا من التفاصيل؟!

إذن.... إليك ما لديّ....

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لماذا احتفظ (ربيع) بعقد الزواج العرفي؟! كان عليه أن يمزقّه، خاصة وأن زواجهما لم يدُم أكثر من عام، ربما كان يتشمم فيه رائحتها، رائحة (راندا)، ربما أحبّها حقًا، أيمكن للرغبة أن تأتي بثمارٍ من لحمٍ ودمٍ، أيحقّ للنزوات أن تملأ الأرحام وتأتي إلى الدنيا بأطفال في هذا الجمال والتورّد؟!

يقول (عصام) ساخرًا سخرية أنضجها إحساس بالمرارة:

- كيف تفكر؟!

كل من تمُر بهم فى الطريق وتتعثّر خطواتك في عظامهم وروائحهم العطنة هم ثمار رغبات ونزوات تتجدّد كل يوم، لماذا تنشغل بتلك القضية؟! أراهنك أن أحدًا من الرؤساء لن يرفع سماعة هاتفه ليسألك عن آخر تطورات التحقيق؟! لقد ماتوا وانتهى الأمر، أتصدّق أن القصاص سيجفف دماءهم؟! هل سيُعيدهم للحياة؟! هل ستقيم دولة للعدل حين تنال بغيتك وتمسك بالقتلة؟! أتصدق حتَّى أن أحدًا يهتم في معمعة المظاهرات وحوادث الاغتيالات اليومية وأخبار الدوري بالقصة؟!

- لماذا يتكلم (عصام) هكذا؟!

- متى أقلعت عن تدخين سجائرك المحلية؟!

- هل عرفتك -أبدًا- قبل الآن؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قابلت مُدير الملجأ، امرأة تجاوزت الأربعين، ترك الزمان على وجهها أثرًا من صفعاته وفي رأسها رمادًا من سجائره، نظراتها -من خلف زجاج نظارة سميكة العدسات- مُثبتّة على أوراق المكتب، تنتهي من تقليب ملف الصغير لتعيد تقليبه من جديد.

- (علي) يتساءل كثيرًا عن أمه، غيابها يؤرقّه، ومُشرفات الدار في مشكلة حقيقية.

- مدام (راندا) ماتت.

تنشغل عن تقلّيب الملف بتقليب ملامحي، ترفع نظارتها عن عينيها وكأنها تُزيح ستائر ثقيلة تحجب عنها وضوح الرؤية، لماذا يبدو لكلمة الموت وَقْع جَلل على آذان البشر؟! حتَّى أولئك الذين يتعاملون معه ويلتقطون أقواتهم كلما أصاب الموت هدفًا وحصد أرواحًا وبقى جاثمًا فوق أسطح العشش والمنازل والقصور.

القتلة والحانوتية وتجار الأعضاء وأمثالك سيدتّي، كيف تخشون انقطاع الرزق في وجود حليف قوي مثل الموت كلمته لا تُردّ وأسهمه في تصاعد لا ينقطع ولا يتذبذب؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- هل أنت معي؟!

- كُلما وقفت متأملًا ذلك الدولاب العتيق كلما تأكدت أنك لا تتابعني.

أذكر أننا تسلمنا ذلك الدولاب ضمن محتويات الحجرة التي تضيق بنا جدارنها، ورغم ذلك بقى مكانه، لم يمسسه أحد، كأن لديه حصانة خفية، كأنَّه أهم ما يقبُع في مكتبنا هذا، كأنَّه أهم مني ومنك، حتَّى قفله الذي يعلوه صدأ مجهول العمر وكأنَّه قميص واق ضد الاقتحام والإصابة ومحاولة فض أسراره، لم نسأل عنه، أم ترانا قد سألنا فلم نتلقَ إجابة شافية؟!

غالبًا أجابنا صمت الرؤساء والامتثال للأوامر دون مراجعة.

هل تفكر حقًا في الوثب على حصانة ذلك الدولاب؟!

ربما وجدت شيئًا، ربما وجدته خاويًّا، فلا تنشغل به.

لا زال عندي كثير لأقوله لك، فهلا أنصتّ لي....

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

للضغط على المتهمين فوائده، لست من أنصار التعذيب أو استخدام وسائل غير إنسانية في سبيل استخلاص الحقائق، أترك الأمر عادة لـ(عصام)، أسلوبه المفضل الذي يخلق له مائة مبرر وألف منطق ويجد له بين كتب القانون ودساتير العالم أسانيد أشك في وجودها أساسًا، بارع هو في إقناعك بها، رغم أنني لم أقتنع بها يومًا، ولكن، لا بأس من غضّ بصري عن بعض التجاوزات كي ننال بُغيتنا في مواجهة أولئك المُراوغين والسفلة!!

- لكن أين أنت يا (عصام)؟! أمازلت تتأمل في ذلك الدولاب؟!

بعض الجرائم لها جلال مُخيف يطيح بجبروت أعتى العُتاة ويصيب أكثرهم دهاءً في مقتل فلا يملكون أمامها إلَّا إهدار الاعترافات، جريمة كتلك أفرغت جيوبه وعقله في لحظات، قال:

- صدقني أنا لا أملك تفاصيل، كل ما أعرفه أن الأستاذ (صبحي) اتفق معي على تسريب بعض المستندات الخاصة بعقد زواج عرفي.

- لمن هذا العقد؟

من بين أنقاض أعصابه التي تتداعى أجاب، وبصدق لم أشك فيه:

- (ناجي عبد المقصود) و(رجاء بيومي)، اثنان لا أعلم عنهما شيئًا، المقابل الذي وعدنى به (صبحي) كان يستحق أن أنفذ ودون أن أعرف أي شىء، كل ما كان يعنيني هو المال.

علق (عصام) بنبرة تمتلئ بشرود الفلاسفة حين يحاولون تفسير ما لا يفسر بأنَّه ليس غريبًا أن تحيا بمائة اسم في مجتمع يحيا بآلاف الوجوه والملامح، أن يكون (ناجي) هو (ربيع) وأن تكون (روني) هي (راندا) وهي أيضًا (رجاء)، فما المثير في ذلك؟!

هل أحسّت (رجاء) بما يدبّره (ناجي) بمعاونة (صبحي) ضدها؟! وإلَّا فما قصة كتابة المذكرات التي كانت بصدد نشرها على صفحات تلك الجريدة التي يملكها عضو البرلمان المُنحِّل؟!

كانت المكالمة تحتوي على شفرة حقيقية محورها (رجاء) أو (راندا)، مفاوضات أو مؤامرة، لا يهم، لو لم تكنْ جثة (راندا) ضمن تفاصيل المذبحة لكانت أول المُتهمين، أمَّا والأمر كذلك فلا زالت هناك نقطة غير مفهومة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- لم يعد صمتك في الآونة الأخيرة يُحيرني.

- هل تشغلك القضية بقدر ما تشغلني؟!

- تُرى، لِمَ يبدو ذلك الدولاب أهم لديك من كل شيء؟! كأنك صِرتَ تحاوره، تنتهز اللحظات كي تستمع لهمس خفي ينبعث من بين أدراجه.

بالمناسبة، لم يعدْ لِزامًا عليك أن تُبقي ذلك القناع بعد أن عثرت على هذا في شقتك، النسخة الأخرى من عقد إيجار الشقة التي شهدت المذبحة.

أنت يا (عصام)؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يبدو (عصام) جامدًا، لا يرتعش له جفن، يرمي عقد الإيجار بنظرات لا مبالية، الهواء الذي يُصفّر بين جُذوع الأشجار اليابسة بالخارج يمنحه طقسًا مُحببًا إلى نفسه، لطالما كان هذا الطقس يمنحه شعورًا بالسطوة والمقدرة، يتيح له بث الرعب في خصومه وأولئك الذين أوقعهم حظ عاثر بين أظافره، مغرم هو دائمًا بفتح نوافذ المكتب في ذروة إحساسي بالصَقيع، ابتسامته تأتي من بئرٍ في وسط الجحيم، ابتسامة تثير داخلي احساسًا بلُزُوجة الدماء ورائحة الموت وتنشر قشعريرة لم تعرف طريقها يومًا إليّ.

- وماذا عرفت أيضًا؟! سفاح لديه هوس بقتل المشاهير، أليس هذا ما أذاعته القنوات وصدرّته الصحف للقراء؟! ها أنت ذا ترى أن القاتل لم يكنْ شيطانًا، إنه من بني الإنسان، مثلي ومثلك، أليس هذا كلامك؟!

- ماذا تريد أن تعرف أيضًا؟!

"أي خيط خفيّ من وجهة نظرك ممكن أن يربط بين خطايا الثلاثة بحيث يكون مصيرهم واحدًا، وأن يأتي على هذا النحو المفزع؟!"

كلهم كاذُبون، وأكاذيبهم تتسبب في كوارث من شأنها أن تهز استقرار هذا البلد، أن تطيح بأصحاب نفوذ ورؤوس أموال وتعبث بعقول وجيوب وذِمَم، الخالق أيضًا يعاقب على الكذب، فقط عليك أن تحسن تقدير الكذب ومدى تأثيره كي يأتي العقاب على قدر الخطيئة.

"من يملك القدرة ليجمعهم في مكان لا يمت بصلة إلى أي منهم؟!"

شخص واحد فقط يمكنه أن يجمعهم، شخص رغباته وأوامره سواء، شخص له سطوة لا يملكون أمامها إلّا الطاعة والإمتثال، شخص تجمعه بالثلاثة علاقات وثيقة، لكنك لن تجد رقم هاتفُه مُسجلًا لدى أي منهم، فهو فوق ذلك المستوى بكثير، أكثر مِمَّا تتخيل يا صديقي.

"من اختار هذه الديكورات، وأطلق تلك الموسيقى؟!

من فتح النوافذ وأضاء المصابيح وتحيّن ليلة عيد الميلاد ليلطخها بحمرة الدم ولُزُوجَته؟!"

- أظنّك لن تعدم الإجابة على هذا السؤال وأنت الآن تتأمل هذا العقد الذي تمسك به، الميعاد أيضًا كان مناسبًا للغاية لتكتمل فانتازيا الهوس التي سيلصقها إعلام مشوه بالسفاح المزعوم.

اتسعت ابتسامته فاتسعت معها هُوّة انفتحت على الجحيم تفصل بيني وبينه، قبل أن يضيف:

- ثمَّ ماذا أيضًا؟! القضية التي شغلك بها رؤساؤك قُيّدت بالفعل ضد مجهول، لففتها بنفسي في كفن وأودعتها هذا الدولاب....

قالها وهو يخرج من جيبه مُفتاحًا صدئًا يمنحك شعورًا وكأنَّه مفتاح لحد، هكذا كان بالفعل.

فتح (عصام) قفل الدولاب، الأدراج كأنَّها توابيت، تفوح منها رائحة ورق قديم أقرب لرائحة الجثث، تَسَارع الهواء البارد الذي يُصفّر بين جذوع الأشجار ليعبُر النافذة الزجاجية فيثير الرائحة، يملأ بها فضاء غرفة المكتب، الغرفة تضيق بالرائحة، أكاد أختنق، وتكاد الرائحة المخيفة أن تأتي على ما تبقى لي من وعيّ وقدرة على الاستيعاب.

- كل هذه ملفات لقضايا تفوق قضيتك رُعبًا وإفزاعًا، كلها حُفِظَت قبل أن نتسلم عملنا هنا، منها ما حُفِظَ قبل حتَّى أن نُولد، هذا -لو تفهم- ليس دولابًا، هذا صندوق أسرار، له حرمة المقابر فلا ينبش، يجب أن يظل هنا، ويجب أن نحافظ عليه كما حافظ عليه من سبقنا إلى هذا المكان.

- للأسف يا صديقي، وربما لحُسنْ حظك، أمامك كثير لتكون أمينًا على مقبرة كهذه.

لقد قبلت أن تكون (تُربيًا) يا (عصام) تعيش لتنقل الأموات وتخدم العدم، أمَّا أنا فلا زلت رجلًا للقانون، ولن أكون غير ذلك.

سبقني (عصام) ليخرج مسدسه أمام وجهي، كانت عينَّا (عصام) تنطقِان حديثًا لم أفهمه حينها، للمرة الأولى في حياتي أكتشف فُوّهة سلاح من هذه المسافة القريبة، كم بدت اللحظة مُثيرة لي، مُفعمة بالوساوس والأفكار المرعبة، لحظة تبَاطأ فيها الزمن حتَّى توقف، ثمَّ تَلاشَى، وصمت، يخترقُه هواء يُصفّر وزعيق رصاصتين قبل أن يعود سيدًا على الزمان والمكان.

لا أنكر أنني ممتن لك أنَّك حللت لي المسألة قبل أن تمضي، لقد فهمت حديثك الأخير، حديثك الذي جاهدت لتُقيّده إلى زنازين عينيك ولم تنطق به.

لقد سامحتك، ورضيت بما جاء في تقرير الطبيب الشرعي وما أذيع في القنوات والصحف فلم أزد عليه حرفًا.

(هجوم إرهابي على مُنشأة أمنية يسفر عن مصرع ضابط وإصابة آخر).

لعلّك لم تقابل أيًّا من أصحاب الملفات التي دُفِنت في الدولاب فيزداد عذابك.

آه... الدولاب... لا زال هناك في نفس موضعه، بينما نُقِلت أنا إلى مكان آخر منذ ستة أشهر تقريبًا.

هنا ستسمع الكثير من الهواء يصفر بين شواهد القبر، يحمل الزعف المتناثر بعيدًا مُحمّلًا بذنوب الراحلين. إليك هذه الزهور يا صديقي، أليس هذا هو النوع الذي تحب؟!

أتمنى ألَّا تخنقه بدخان سجائرك المحلية....!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صخب الخريف....!!

[1]

قال لها:

- لكَم أحب الشتاء.

قالت:

- وأنا بإمكاني أن أمُطر، غير أن للشتاء غيوم، أمَّا أنا، فلا....!!

قال لها:

- كيف لا وأنتِ امرأة؟! هل ثمة امرأة بلا غيوم؟!

قالت له:

- النساء مثل الفصول....

سألها:

- وأنت... ماذا تشبهين منها....؟!

أجابت:

- مثل الخريف أنا، منطقة وسطى بين دفء اللقاء وقشعريرة الانتظار، رمادية، لكنني أحمل الشمس على كتفي....

عاد يسألها:

- لا أفهمك....

قالت وكأنَّها تخاطب الكون كله:

- لا تتعجّب، أتلذذ وأنا أراقب الرجال من حولي، أقرأ الحيرة في نظراتهم، أتابع دهشتهم بينما أمزج الصقيع بالنهار، وحين تتكاثف مشاعري فيحسبون أنني سأنهمر مطرًا، ثمَّ لا أزيد على بضع قطرات تُبقِي على نبت الأمل حيًّا في أعماقهم، لكنها لا تروي ظمئًا....!!

قال وهو يدير ظهره لها:

- أنتِ مريضة بنفسك.

قالت وهي لم تزل في مكانها:

- وأنت مريض بي....!!

لم يزد كلمة وهو يغادر، شيعته بعبارة واحدة حاولت أن تُعلِي صوتها كي تبلغ مسامعه.

- إحساسى بقوة الرجل يثيرني حقًا....

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

[2]

حين غادر الـ(كافيه) كان يحسب أنَّه خلفها وحديثها وراء ظهره، فإذا بعطرها يلتصق بمعطفه الشتوي.

عبر الشارع لا يلوي على شيء.

لم يعبأ بالسيارة المسرعة.

لم يُعر اهتمامًا لبرك الماء التي خلفها المطر بينما كانت خطواته تخوض فيها، كل ما كان يشغله أن يكون قريبًا من البحر، استشعر حاجته لهوائه المالح، أن يصيب وجهه الزبد الأبيض وقت تتكسر الأمواج على الحواف الناتئة للصخور كأنَّها أسنان شبقة.... سيلعق بلسانه الملح المتخثر فوق شفته الباردة، سيكون أفضل حالًا بدونها!!

حين دس كفيه في جيبي المعطف تحسست أصابعه ورقة صغيرة، وحين أخرجها قرأ فيها رقم هاتفها.

الورقة قديمة جدًا.

كيف قبعت في جيب المعطف كل هذا الوقت.

صارح نفسه بأنَّه يحفظ الرقم عن ظهر قلب، ليس بحاجة إلى الورقة لتذكرة.

أعاد الورقة إلى سابق موضعها، في الورقة شيء من عطرها.

لعق شيئًا من الزَبَد تناثر فبلل شفتيه.

كان للزَبَد مذاق حديثهما....!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

[3]

في المساء لم يبرح الفراش، سرعان ما تبدّد الدخان المُتصاعد من كوب فوق الـ(كومدوينو) المجاور في صقيع الغرفة، تبددت معه رائحة القرنفل التي

يعشقها.

قلّب في رواية كان قد بدأ في قراءتها منذ أسبوع أو يزيد، لم يجد في نفسه الرغبة لإكمالها، سألها مرة:

- كيف تستمتعين بالوقت؟

- أكتب أو أقرأ....

- روايات....؟!

ابتسمت كأنَّها خمنت ما خمن.

- قليلًا ما أقرأ الروايات، شغفي الأول بالفلسفة.

تراقصت عند زوايا شفتيه ابتسامة ساخرة خرج بعدها صوته قائلًا:

- فلسفة... واو... هل تفهم المرأة الفلسفة؟!

- أو تظن أن الفلسفة خُلِقَت للرجال... (تصمت هنيهة)... كيف هن النساء في نظرك؟!

لم يجب، اكتفى بالانشغال في تقليب كوب الماء الموضوع أمامه حتَّى ذاب ما به من مكعبات الثلج....!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

[4]

الزجاج الذي تهشم إثر إصابة الصبية له بالكرة لم تطلُه يد التغيير بعد، سيكتفي بمزقة كرتون يسد بها الطريق على هواء يناير الذي لا يرحم.... سيُكدّس غطاءً بعد آخر على جسده، البرودة تدعو نفسها للدخول دون استئذان، سيشعل المدفأة، يكور جسده على نفسه، يعود جنينًا داخل رحم الفراغ والعزلة، سيبُقي نور المصباح مضاءً.

(سعيد) هو كل ما احتفظ به من سنوات الطفولة، تلازما خلال مراحل الدراسة المختلفة.

قال له قبل عشرين عامًا:

- أتعرف ما هي مشكلتك؟! مشكلتك أنَّك كونت رأيك في الحياة مُبكّرًا، لم تعرف التجربة، وحرمت نفسك لذّة الاختيار ونشوة الوقوع في الخطأ.

- الاختيار والفشل عندي مترادفان، كان اختيار الإنسان حريته منذ البداية سر فشله وسقوطه....!!

رفض عرضًا مباشرًا بالزواج من ابنة رئيس قسم جراحة المخ والأعصاب، رفض صفقة كانت كفيلة بجعله عضوًا بين أعضاء هيئة التدريس، انتهى به الأمر واحدًا ضمن ملايين الخريجين في رحلة بحث دائمة عن شيء غير متاح....!!

- لمْ يكنْ ينقصني إلَّا هذا....

انقطع التيار الكهربي فجأة، سيجد الصقيع ألف مبرر ليمضّي بقية الليل ماكثًا في غرفته.

"مثل الخريف أنا...منطقة وسطى بين دفء اللقاء وقشعريرة الانتظار."

يستعيد كلماتها دون قصد....

كيف لم يلاحظ قبل الآن؟!

في صوتها حشرجة تشبه صوت أوراق الشجر الجافة حين تتكسر...!!

أليس كذلك؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

[5]

لمْ يكُنْ غافلًا حين تنفس الصبح، لم يهنأ من سبات الليل إلَّا بالنذر اليسير، حين غادر الفراش كانت أشعة الشمس تُحدث ثقوبًا في جدران الصقيع التي شيدها الليل من حوله، ألقى تحية الصباح على صرصور كان يطل بشواربه من خلف دولاب الملابس القديم، مرة واحدة فقط واتته فكرة اقتناصه، باءت محاولته بالفشل وإصابة زجاج النافذة، تكاسل عن إصلاحه كثيرًا حتَّى عاقبه الشتاء....

عاد (سعيد) قبل عشرة أعوام ليقول:

- دائمًا ما تتأخر، دائمًا تتفنن في إضاعة الفرص، مالها زميلتنا (ن)؟! جميلة وبنت ناس وترغبك.

- بالمناسبة، لماذا تأخرّ الشتاء إلى الآن؟!

قالها وهو ينقر بقلمه في دفتر الروشيتات الموضوع أمامه، يعانيان -معًا- الملل وندرة المترددين على المستوصف الشعبي المتواضع شكلًا ومضمونًا....

- تخطئ في حق نفسك كثيرًا يا صديقي، لن تنتظر الشتاء طويلًا، هو آت لا محالة.

تطلّع إلى المنبه الصيني الصنع الموضوع على (شوفونيرة) صغيرة، ورديته تبدأ متأخرة اليوم، أطلّت عليه من المرآة التي تعلوها طبقة لا بأس بها من التراب....

- تجاوزت الأربعين ولا زلت تنتظر الشتاء...؟!

لمْ يفهمْ وقتئذ ماذا تعني....

وجبة إفطار بسيطة من كوب شاي وبضع قطع من الخبز تُرِك في العراء حتَّى اكتسب صلابة الحصى، يجاهد كي يلوك القليل منه، يوم اضطر إلى حشو ضرسه لأول مرة شعر بحزن شديد، حزنه الآن يبدو أشد وطأة، تآكل معظم الحشو، سقط ما بقى منه في كوب الشاي....!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

[6]

سألها متأملًا:

- ماذا تريدين؟!

أجابه صمتها.

نداء يخرج من جوفه بأنه لم يعد ثمة وقت للمساومة.

سيهاتفها....

هاتفها المحمول لا يجيب....

سيهرع إلى الـ(كافيه) الذي اعتاد مقابلتها فيه.... كانت هناك بالفعل، في نفس موضعهما المعتاد، لكن....

لم تكن بمفردها....!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

[7]

ترى، من يجلس قبالتها؟!

كانا يضحكان، صوتهما مرتفع، ربما كان كذلك.

هل شعرت بوجوده؟!

تجاهلته، ربما تعمدت، حاول أن يُكور جسده على نفسه من جديد، فشل، لم يعد للعزلة رحم، لم يعد للوحدة مُتسّع لسنواته وشكاواه.

حين اصطدمت به عيناها كانت تبتسم، أدهشه أن تخلّت عن مقعدها، صوبت خطواتها تجاهه، لـَكم كانت قادرة على إدهاشه دائمًا، عليه أن يعترف بهذا....

- تفضل شاركنا الحديث.

نهض مستسلمًا، يجهل مدى الحكمة والمنطق في كل ما يدور، قدمته لشريكها قائلة:

- دكتور (حسن).

(والتفتت له مكملة التعارف)، باشمهندس (مراد) شقيقي، عاد منذ يومين فقط من (أمريكا).

بغتة، دبت الحركة في المكان، شعر بأوصاله تنتشي على غير العادة، أفلتت منه ابتسامة نسى معها للحظات الكف الممدودة صوبه، انشغل بابتسامتها التي تحمل ألف مغزى عن واجب المصافحة للحظات أخرى.

بدأ المطر يحدث دقاته رتيبة على زجاج الواجهة، انشغل عنه بمعانقة عينيها بنظراته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

[8]

- ماذا يعجبك في الشتاء؟!

المطر؟! الضباب؟! ربما الغموض، وربما.... لا شيء، فقط تعوده....!!

مال عليها يسألها بصوت خفيض:

- لكنكِ قلتِ أن إحساسك بقوة الرجل يثيرك...!!

قالت وهي تبادل عينيه عناقًا بعناق:

- لكن إحساسي بحنانه يكفيني.

كان (مراد) قد أشاح بوجهه بعيدًا، يُفتّش بناظريه عن النادل، وجدت لديها الفرصة لتقول شيئًا كان ينتظر أن تحدثه نفسه به يومًا ما:

- لو لم تصغِ لصوت الخريف، لمكثت في الشتاء إلى الأبد.

واقتسما بسمة لها نكهة قرنفل طازج.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كما أعرفه

منذ الليلة الأولى لعمله في السيرك كان شرط المدير واضحًا، حادًا كأنَّه شفرة تركزت على شرايين يده، باردًا كأنَّه طقس الليلة التي تسلم فيها العمل.

- عملك أن تضحك الجمهور، تشقلب، قُل نكاتا، غنِّ لهم، المهم أن تضحكهم، الليلة التي لن يتجاوب معك الجمهور ستكون نفس الليلة التي ستغادر فيها السيرك.

مرّ على تلك المقابلة أكثر من عامين، من وقتها وهو يتأمل كل ليلة أقنعته وأدوات (الماكياج) التي ترافقه في حقيبة أشبه بالجراب، يُقلّب فيها بيديه كل لحظة، يمسك بأقنعته، قناعًا تلو الآخر، يستغرق في النظر إليه، تستشعر وكأنَّه يحاوره، يستأذنه قبل الاستعانة به، يبثه همومه وقلقه بشأن الجمهور ومقالبه.

ماذا لو لم يضحك الجمهور الليلة....؟!

وليس غريبا حين يستقر على أحد هذه الأقنعة أن تسمعه يكلمه بالفعل، يستشيره فيما يجب فعله، يرجوه في يرجوه -في نهاية حوار من طرف واحد- ألّا يخذله.

- أنا مُعتمد على الله ثمَّ عليك، في عرضك بيّض وشي!!

ذلك على الرغم من أن ما ينكشف من وجهه، أو ما يبقيه القناع مكشوفًا من وجهه لن يكون له علاقة باللون الأبيض أبدًا، سيكون دائمًا خليطًا من ألوان زاهية، أنف أحمر مستدير، رقبة مرقطة كأنَّها في الأصل لزرافة، ثمَّ أذنان خضراوان تبدوان من بعيد كأنهما ورقتا شجرة عجوز.

ألوانه و(ماكياجاته) يصنعها بنفسه، علمه إيَّاها مهرج آخر سكن جارًا له في سن مبكرة، ينتظره في المساء عند عودته، رغم ما يبدو على عم (محمود) من عناء إلّا أنَّه لم يردُّه قط، يلقاه مبتسمًا، مرحبًا، وحتَّى قبل أن يسأله عمَّا سيعلمه له اليوم كان عم (محمود) يُسارع بفضّ جرابه وإخراج أدواته ليبدأ عرضًا مختصرًا أمامه، عرضًا خاصًا قد لا يتجاوز ربع ساعة، يعود بعدها إلى بيته مُحملًا بكثير من المتعة وبقليل من أدوات وعينات ألوان بسيطة يهديها له عم (محمود) في نهاية عرضه المجاني لأجله هو فقط!!

لكم كان يحب عم (محمود)، بكى عليه كثيرًا يوم وفاته، ربما أكثر مِمَّا بكى على أبويه.

عليه أن يضحك الجمهور.

كان القدر يدخر له امتحانًا مبكرًا ليثبت جدارته بالوظيفة، لم يمض شهر حتَّى كانت زوجته تُسلِم الروح بين يديه، صدمتها سيارة فرّت بصاحبها، دمعت عيناها وهي توصيه بابنهما الوحيد (يوسف).

كان الامتحان قاسيًا، إجباريًّا.

ظن أنَّه لم يكنْ مستعدًا له.

ورغم ذلك دفن دموعه مع زوجته، في المساء هرع للسيرك، اختار قناعًا، قال لنفسه:

- لا يكفي، أخرج كل أقنعته، ألصق كل واحد منهم بموضع في جسده، يعلم أن جسده كله سيبكي في تلك الليلة، لا يجب أن تنكشف دمعة واحدة أمام الجمهور فتُفسد الليلة وتطيح بأكل عيشه.

مرت الأيَّام، ابنه (يوسف) يكبر أمام عينيه، يشبه أمه، له نفس عيناها الواسعتان العسليتان، له نفس بياضها، يحب مهنة أبيه، ولا يرى فيها أي عار.

- عرفت تربّي... ربنا يحفظه لك.

ادخر له القدر امتحانا آخر حين اكتشف أنَّه و(يوسف) مصابان بفيروس الكبد، عرفا سبيلًا للحصول على حقن "الإنترفيرون" مجانًا من إحدى الوحدات الصحية، "الإنترفيرون" هو العلاج الوحيد المعتمد للقضاء على هذا الفيروس... مشكلته أنَّه يُضعِف الجسم، يحتاج الجسم معه مزيدًا من التغذية، يقول لنفسه:

- لا يهم، أنا سأتحمل... المهم (يوسف).

يشعر (يوسف) بآلام والده تتضاعف، أصبح أقل قدر من المجهود يرهقه ويبديه أكبر من عمره بعشر سنين على الأقل، حين يعرض عليه العمل معه في السيرك يخرج والده ما تبقى من طاقة بعد عناء اليوم في عبارة واحدة حاسمة:

- ليس لك صالح بي، هذا عملي، كل مهمتك أن تذاكر، وأن تهديني بمجموع كلية الهندسة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم تكنْ الليلة مثل كل ليلة.

حقًا أنَّه اختار قناعه بعناية.

حقًا أنَّه وضع المساحيق، وتفنن في تنسيقها، فخرجت ملامح وجهه كأكثر ما يكون من البهجة.

حقًا أن ملابسه وبعض (الإكسسوارات) تبديه بدينًا بشكل مبالغ فيه، ستكون الشخصية مضحكة حتَّى ولو تسمّر مكانه على خشب المسرح.

لكن الجمهور لم يضحك.

يتأمل ملامحهم بين حركة وأخرى فوجدها جامدة، لم يتسلل إليها ولو شبح ابتسامة.

تشقلب، غنّى، قال نكاتًا كان يظن أنَّه قد نسيها، ألقى نكاتًا بذيئة، ونكاتًا مليئة بالإيحاءات الجنسية، يعلم أن مثل هذه النوعية من النكات تُلِهب خيال الناس و..... ضحكاتهم.

لكن لم يحركْ أي من الجمهور إصبعًا.

جرى مغادرًا خشبة المسرح، عاد بقناع ثان، وثالث، ورابع، استخدم أقنعته كله، أمسك جرابه وسكب كل ما فيه من ألوان على جسده فيما يشبه الهوس.

لكن الجمهور يزداد عبوسًا.

الجمهور بدأ يغمغم.

يكاد يجن وهو يرى عيون الجمهور تلمع بالدموع، بعضهم أفلتت دموعه بالفعل، استدعت الدموع مزيدًا من الدموع، وتحولت نوبة البكاء الفردية إلى ما يشبه (الكورس) الذي يعزف بكاءً يتصاعد تدريجيًّا حتَّى يُصبح نحيبًا ثمَّ عويلًا، الجمهور ينسحب واحدًا تلو الآخر، الجمهور يغادر مقاعده وكأنَّهم اِتفقوا الليلة على أن يعودوا إلى منازلهم مغتسلين من أحزانهم وهموم السنين بدموعهم.

الآن، وحيد، يتوسط خشبة مسرح السيرك، جنباته العتيقة، ستائره التي تختلط فيها ألوان المصنع بألوان أخرى صبغها بها الزمن، مقاعده الجلدية السوداء، لِمَ تبدو له الآن وكأنها كانت دائمًا في حالة حداد؟! لم ينتبه لذلك من قبل...!!

لم يهتم حتَّى بأن يجمع ما بقى من أدواته التي بعثرها هنا وهناك خلال محاولاته اليائسة لانتزاع ضحكة من الجمهور، سار مُترنحًا، لم يشعر أنَّه مريض قدر شعوره في تلك اللحظة.

في الممرات كان الكل يهنؤونه!!

- الله ينور يا عم (عليّ)....

- ما كل هذه العظمة....؟!

- الشهادة لله عمرك ما أبدعت بهذا الشكل....!!

لم يستوعب شيئًا مِمَّا يقال، فعلامَ يهنؤونه؟! هل يسخرون منه؟! هل يستهزؤون بفشله منقطع النظير؟!... قابله وجه المدير، انتظر أن يبصق في وجهه كأقل واجب قبل أن يعلمه بمنتهى قلة الذوق -التي يستحقها بالطبع- أنَّه مطرود.

مدير السيرك يحتضنه ويهنئه، هل يسخر منه هو الآخر؟! هل يمهد لطرده لكن بأسلوب لا يخلو من الذوق.

فنان، مبدع بحق، الجمهور لم يضحك بهذا الشكل منذ صرت أنا مديرًا لهذا السيرك.

تركه المدير بعد أن أخبره أن يمر عليه في مكتبه ليكتب له شيكًا بمكافأة استثنائيَّة مزيدًا من حيرته.

كيف أضحك الجمهور؟! كل الجالسين كانوا يبكون، لم يكن يفصل بينهم وبين لطم الخدود سوى عشر دقائق أخرى من عرضه البائس، هل أصيب -إلى جانب فيروس كبده- بمرض من نوع آخر، مرض عقلي؟! ربما...

في بيته الصغير لجأ إلى المرآة، وقف يبتسم ويتأمل شكل وجهه، هكذا يكون الابتسام، ضحك بلا سبب، فقط ليتأكد أن الضحك ليس له هيئة أخرى غير تلك، حضر (يوسف) على صوت أبيه الذي استغرق -فيما يبدو- في الضحك لفترة طويلة دون أن يشعر، يريد أن يتأكد أنَّه الضحك كما هو، وأن ملامح السعادة لم تتغير منذ عرفها صغيرًا.

هكذا كان يبتسم عم (محمود) كلما استقبله في المساء، وهكذا كان يضحك والداه حين يتشاركان النكات في أمسيات البرد بغية الحصول على بعض الدفء، هكذا كانت تفرح زوجته حين يشتري لها قميصًا جديدًا مكشوفًا ويتورد وجهها إذ تفهم مأربه.

- خير يا بابا؟!

انتبه لوجود (يوسف) أخيرًا، قربه منه، تأمل ملامحه.

- سمعت آخر نكتة يا (يوسف)؟!

حين ألقى نكتته لمعت عينا يوسف، ابتسم في البداية حتَّى استوعب عقله الصغير مغزى نكتة والده شيئًا فشيئًا اتسعت ابتسامته، دخلا معًا في نوبة ضحك حتَّى دمعت عيناهما.

الآن اطمئن... لا زال الضحك كما يعرفه.، لا زالت السعادة كما تعلمها.

لكن الجمهور!!

صمت ضحكة فجأة، مِمَّا جعل (يوسف) يصمت بدوره، يتأمّل ملامح وجه أبيه في حيرة وقلق، سرعان ما يتبدد قلق وحيرة (يوسف) حين يبتسم والده مرة أخرى قائلًا:

- هذا بحق هو الضحك كما أعرفه، مالنا ومال الناس يا بني فليعبروا عن السعادة كما يحلو لهم، فليضحكوا كما شاؤوا، إنَّهم لا يعرفون حتَّى ماذا يريدون، المهم أنت.... وأنا.

- أليس كذلك....؟!

وواصلا الضحك كما يعرفانه.

ويعرفهما....

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مترو

نصف ساعة قبل انطلاق مدفع الإفطار.

عربة المترو التي استقللتها من محطة (كوبري القبة) تكاد تخلو من الحياة، اللهم إلَّا من أجساد بضع رجال تناثرت في كللٍ واضح على مقاعد المترو، أجساد لا يجمعها نسق، لا تخضع لترتيب، تشترك فقط في الجلابيب الصعيدية التي ترك الشقاء بصماته عليها مُمتزجًا ببقع العرق وحفنة من الذباب اِلتصق ببياض العمائم التي انحلّ عقدها....

كانوا يغطّون في نوم قرير لا تدري أهو تجسيد لشعور خفي غير مبرر بالأمان أم هو ثمرة يوم عمل مُضنٍ في نقل ورفع شكائر الأسمنت التي علقت بعض ذراتها بأكمامهم الفضفاضة؟! المهم في الحالتين أنَّهم الآن ينعمون بلحظات استثنائيَّة، لحظات يشعرون معها أن لهم نصيبًا يخصهم دون غيرهم من الدنيا.

انشغلت عيناي للحظة بجسد أحدهم، يتمدد في أريحية مُتوسدًا نعله، بينما كانت عمامته المُنحلّة تغطي عينيه، تحجب عنهما نور عربة المترو، تعلقت عيناي للحظة -رغمًا عني- بقدميه اللتين تلاصقتا وكأن كلا منهما تبث للأخرى شكواها مع بعض من الطين والوسخ المستوطن في الشقوق الغائرة....

كم كان عددهم؟!

ارتكنت رأس كل منهم على كتف زميل له يشاركه فراغ المقعد، اثنان، أربعة، ستة، ثمَّ الجسد الممدد، ربما كان أكبرهم، أوضاعهم لا تكشف تفاصيل قاماتهم، ليسوا طوالًا على أية حال، قلت لنفسي، كما أن أجسادهم لا تتألف إلَّا من عظام وجلد، لا أثر لشحوم ولا حتَّى لعضلات، السمرة التي انطبعت على جلودهم تمنحك انطباعًا بأن مثلهم لا يعملون إلَّا في ذروة الأيَّام القائظة.

صار الصوم صعبًا وقد أصبح الشهر الكريم يحل في عز الصيف، دائمًا ما يقول إمام المسجد القريب أن الأجر مضاعف إن شاء الله، سرى دبيب الحياة في الأوصال المتراخية، كيس أسود يسقط من ذراع أحدهم، كان الكم الواسع واليد الخشنة الغليظة تحجبه عن الرائي منذ لحظات، تدحرجت ثمرة تفاح، انتبه الباقون تباعًا على صوت الكيس ومشهد التفاحة وهي تتدحرج كأنَّها قط صغير رواغ أنظارهم وهي تختفي تحت أحد المقاعد، أصدر أحدهم صوتًا من حنجرته اعتراضا، غير عابئ بحرمة الشهر قبل أن يقول بلهجة أورثها الجنوب كل خشونته وجفافه طقسه:

- يوه... يوه... نِمت يا ابن الجزمة؟!

كان المقصود بالنداء قد هبّ من غفوته، يلتقط الكيس البلاستيك، يضعه في غير عناية موضع مكانه الشاغر على المقعد.

- كلكم نائمون، وكله فوق دماغي أنا.

صاح وهو يتدحرج بجسده الذي ظهر نحوله لناظريّ جليًّا واضحًا خلف التفاحة إلى ما أسفل المقعد، بدت التفاحة مع أعينهم التي حدقت وأفواههم التي انفتحت في شبق وبلاهة وكأنَّها هي كل ما يملكون ليسدوا به رمقهم إذا حانت ساعة الإفطار.

مع الحركة المضطربة بدأ صاحب الجسد الممدد يتحرك، حركته متئدة، اعتدل في ثبات، تهدّلت عمامته، أعاد لفها على رأسه في غير إحكام.

هدوءه وبطء الكلمات التي خرجت مع صوت عميق هادئ أنبأتني أنَّه -غالبًا- كبيرهم.... لاحظت حين تمَّ اعتداله أن وجهه صار الآن قبالة وجهي تمامًا، لم ينظر إليّ مباشرة، ركز نظراته على مؤخرة عبد المولى التي صارت هي كل ما يبرز من أسفل المقعد الذي تدحرجت التفاحة إلى أسفله، لم يطُل صمته قبل أن يقول:

- ماذا أصابكم؟! الجوع طيّر عقولكم يا ولد منك له؟!

تراجع الجسد المنكفئ بارزًا من أسفل المقعد فائزًا بالثمرة المراوغة، اتخد وضعه السابق مستويًّا على كرسيه بعد أن دس التفاحة من جديد داخل الكيس، لم يفته أن يدعكها في ياقة الجلباب ظنًّا منه أنَّه بذلك قد أزال ما علق بها من تراب العربة، لا يدري أنَّه أسبغ عليها من قذارة الجلباب وترابه نذرًا غير يسير....!!

تطلّع إلى (كبيرهم) (أو هكذا كنت أتصور)، وقال بينما كان يتثاءب:

- ألم يؤذّن المغرب بعد يا أستاذ؟

- ليس بعد.

قلتها وأنا أهز رأسي يمينًا ويسارًا.

تباطأ المترو ليقف في محطته التالية.

"منشية الصدر"....

راودتني فكرة قلقة عمَّا إذا كانت المواصلات إلى (الإسكندرية) متاحة في (رمسيس)!... مجرد فكرة سرعان ما غادرت المكان حين انفتحت لها أبواب المترو، رصيف المحطة خالٍ. جسد ضئيل وحيد عبر أحد الأبواب إلى الداخل، كانت امرأة على كتفها صغير، ربما لم يمر عام على دخوله الدنيا، تعلّقت

حقيبة بلاستيكية بيسراها، اليد الأخرى تقبض على عبوتين للمناديل الورقية، في هذه الساعة؟! تساءلت، هل ثمّة من يشتري أو يبيع الآن، كان نحول جسدها لافتًا للنظر، كأنَّها عود من القصب تعضعض فيه أسنان الزمن، جلبابها أسود أمعن في إبراز نحولها، طرحتها شفافة سوداء، تنحسر بين لحظة وأخرى عن خصلات شعر بني كلما تقلصت أصابع الكف الصغيرة تتشبث برأسها، كان لخطواتها التي تنطق بالوهن حفيف يحدثه شبشبها المتآكل، تسري في صوتها حشرجة العطش و....

- ساعدني بثمن منديل يا مؤمن، ساعدني بثمن منديل، أطعم المسكين يا صائم.

كان نداؤها واضحًا يرن في العربة الخاوية، راقبتها بطرف عيني محاولًا ألَّا تنغرس نظراتي في عظام وجهها التي برزت على نحو يثير الشفقة، ذكَّرتني بوجه صديقي (نادر)، منذ ساعات قليلة كنت أتطلَّع إليه، راقدًا في فراشه مدّ يده يصافحني، عشرة عمر منذ سني الدراسة الجامعية، زميل (دفعة) في سلاح المشاة، كان حتَّى وقت قريب فحلًا من فحول المصارعة، أقعدته حادثة سيارة، لم أستطعْ أن أؤجل الزيارة، فشلت في حبس دموعى وأن أتأمل عجزه عن تناول كوب الماء من فوق "الكومودينو" القريب، انصرفت وأنا أبث نفسي بعض الطمأنينة عليه حين حضرت شقيقته لتمضي بقية اليوم إلى جواره.

- ماذا جنيت من العزوبية يا صديقي؟!

- وماذا جنى عليك أنت الزواج؟!

ابتسمت غير منشغل بالبحث عن إجابة.

حين أعاد المترو غلق أبوابه وتحرك كان ثمة أذان يرتفع من مصدر قريب، كان (كبيرهم) يهرش صدره بيده عبر فتحة الجلباب حين قال:

- افتح يا واد يا (شنودة) وناولنا.

أتبع عبارته بتمتمة، خِلتها دعاء الإفطار، في الوقت الذي فتح (شنودة) كيسه الأسود متناولًا عدة أرغفة وطبقين من (الفُومّ) الأبيض، دارت الوجبة المتواضعة بين الأعين والأيادي النهمة، سرعان ما فاحت في العربة رائحة الجبن الرومي الذي كانت شرائحه ممددة داخل طبقيّ (الفوم)، مدّ (شنودة) يده تجاهي كشفت ابتسامته الودودة عن أسنان غَيَّر الشاي والقهوة والنيكوتين لونها، رددت ابتسامته بأخرى لا تقل مودة، انفتح فم (كبيرهم) مُشجعًا ففاحت من فمه رائحة الجبن ممتزجًا بالعيش، رائحة حفزت شهيتي،

في حين أصابني فمه المفتوح وهيئته وهو يأتي على الطعام بنوبة إحباط لم أجد معها لي رغبة لا بالطعام ولا بالشراب.

- خذ من أخينا (شنودة) يا أستاذ، شقّ ريقك، خير ربنا موجود ولله الحمد.

تناولت منه قطعة جبن صغيرة، كنت عازفًا حتَّى عن مجرد تقريبها من فمي، لكنني أكلتها، جاهدت كي أمضغها، عانيت كي أقنع حلقي بابتلاعها- كيف كان مذاقها؟! سألت نفسي فلم أتلقّ ردًا.

لم تدُم الوجبة طويلًا، أنهوها بمذاق ثمرتي تفاح؛ ليخرج بعدها (شنودة) زجاجة بلاستيكية مملوءة بالمياه، كان بلاستيك الزجاجة قديمًا، غائمًا، يكاد يفقد شفافيته فيحجب ما بداخلها، وكما دار الطعام عليهم دارت الزجاجة ليجرع كل منهم ما يستطيع، يمتلئ صمت العربة الخاوية بعدها بمعزوفة متمايزة من أصوات التجشؤ، متى يصل المترو بنا إلى (رمسيس)؟!

في ركن العربة انزوى جسدها الضئيل على أحد المقاعد، تتقاسم مع صغيرها الذي أنزلته إلى حجرها عبوة (بسكويت) خلا غلافها من أية بيانات خاصة باسم المنتج أو جهة تصنيعه، أراحت صدرها لأسفل لحظات، بدت مستغرقة في مراقبة صغيرها وهو يلوك فتات البسكويت..

توقف المترو من جديد... لافتة (الدمرداش).... انفتحت الأبواب لخلاء المحطة للحظات قبل أن تعود فتغلق على نفحة هواء باردة تسللت من خارج العربة إلى داخلها، زادت من ضمّ صغيرها، بُغيّة أن تقيه البرد، ربما... وربما تستمد من جسده -رغم صغره- شعورًا بالدفء والأمان.... لا أحد يدري....!!

كانت الأجساد الصعيدية كلها تتمطى في كسل، طوح (كبيرهم) رأسه للوراء، صوت مصمصة ينبعث من داخل فمه مع حركة لسانه المتلاعبة بين أسنانه قبل أن يطل خارجًا ويلعق الشارب الذكوري الكثّ في تلذذ، دار حديث بين اثنين منهم، تدخل ثالث مشاركًا إيَّاهم بالإشارات التي يتقنها الصُمّ والبُكمّ، فهمت أنَّه يروي نكتة، انتبه له الجميع، إلَّا (كبيرهم)، مكث على حاله كانت أعينهم تتسع وابتساماتهم تزداد وُضوحًا كلما أمعن في تفاصيل نكتته التي طالت بعض الشيء، أنهاها بإشارة لها إيحاء جنسي فاضح فانفجروا ضاحكين دون تعقيب، كنت -رغما عني- أبتسم للنكتة التي لم أفهم منها سوى نهايتها.

نهضت بعد أن رفعت ابنها من جديد فوق كتفها، أعادت النداء بصوت واهن:

- ساعدني يا بيه بثمن علبة مناديل، حد عاوز مناديل؟!

دسست يدي في جيبي، أخرجتها وقد أمسكت بجنيه، وضعته في يدها أثناء مرورها أمام مقعدي، ناولتني علبة مناديل، أعدتها إليها وأنا أقول بنبرة هادئة:

- دعيها معك، لست محتاجًا إليها.

- كتر خيرك، ربنا هو الغني.

نطقتها ورأسها منكسة باتجاه مناديلها، لم ترفع نظرها باتجاهي، بينما كانت يدها تعيد الجنيه إلى كفي التي لم تنقبض أصابعها بعد، مشت باتجاه الباب وهي تُلملم طرحتها فوق رأسها وتلف نهايتها بشيء من الإحكام حول رقبتها، حين توقف المترو في "غمرة" نزلت، نقلت بصري بين عودها النحيل الذي كان يتلاشى في سرعة وبين الجنيه الذي عاد مخلصًا إلى يدي، تحرك المترو، هل يعود (نادر) كما كان؟! ليس هناك تاريخ صلاحية لِمَا يطعمه الفقراء في بلدنا، يقول (نادر) نحسده على كفاءة معدته التي يستطيع معها أن يلتهم صحن فول غارق في الشطة ويرعى فيه السوس، نكتة أخرى... لم تطل ضحكاتهم، كان المترو يبطئ من سرعته وهو يقترب من (رمسيس)، طعم الدهشة لم يفارق فمي بعد... لملم (شنودة) فوارغ الأطباق وبقايا فتات العيش من فوق المقاعد بينما كان كبيرهم يسألني عن وجهتي.

- خلاص... سأنزل هنا....!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

من واحد لعشرة

"..... فإذا لقيت نفسك غاضبًا وتُوشك أن تقوم بأي عمل شرير أو متهور... عِدّ فقط من واحد لعشرة".

ابتسم (عادل) ابتسامة ضاقت معها عيناه بدرجة مبالغ فيها حتى صارتا كأنهما خطان رُسِما بسن قلم رفيع في وجهه... مفسحتيّ المجال لانتفاخ خدوده واتساع شفتيه، ازدادت ملامحه طفولة وبراءة مع ابتسامته.

يبدو (عادل) وكأنَّه خُلِق ليكون بدينًا، بدانته مفرطة... تحسبه معها -إذا رأيته من مسافة بعيدة- وكأنَّه كرة تدحرجها يدٌ خفية على الأرض، ملابسه فُصِلّت خصيصًا كي لا يدخلها سواه، أو قل (ينحشر داخلها) إن شئت بعض الدقة، جعله هذا مادة للتندر والسخرية بين أقرانه من أولاد الجيران أو زملاء الدراسة، الأمر الذي يدفعه دائمًا لمطاردتهم مطاردات لا تبدأ إلَّا لتنتهي بعد خطوتين أو ثلاث يجلس بعدها (عادل) ليلتقط أنفاسه لمدة قد تتجاوز نصف الساعة من فرط ما بذل من مجهود وكأنَّه لف (تراك) النادي الذي لا يدخله مع والديه إلَّا ليجلس وحيدًا، يرسم أو يقرأ، و -غالبًا- ليأكل مالذّ له في جو يضاعف من فتح شهيته و.....

ومن مأساته....!!

(عادل) وحيد أبويه، يلقى من الرعاية ما يليق بـ(خلف جاء بعد شوقة)، خيبّ الظنون التي تربط دائمًا بين التدليل والإفساد، يكتشف نفسه في وحدته، إنَّه يحب الرسم، يعشق الألوان عشقًا لا ينافسها فيه إلَّا غرامه بالأكل، لديه قدرة استثنائية على الخلق واقتحام المساحة البيضاء ليجعل منها عالما يضج بالكلام والصخب والحيوية، تثير موهبته غيرة زملائه، يعلمون أن نقطة ضعفه في شكله وهيئته وملامحه التي تجعل منه أقرب لمجسم هندسي مجرد من التفاصيل، لا رقبة... لا خصر... لا تشريح مفصلي واضح، يتجاهلهم، يغلق على نفسه أبواب دنياه، يهرب من ضوضائهم المبتذلة إلى همس العناصر الرقيقة في"اسكتش" الرسم الذي لا يفارقه.

لم تفلح كل المحاولات التي اتّبعها والداه لمحاولة علاج المأساة، حاولا كثيرًا، منعا عنه الطعام، كاد يصاب باكتئاب، يصحبانه إلى أرقى النوادي فلا يزيد عمَّا اعتاد فعله... يرسم، ويقرأ... بينما يظل التهام الطعام بمنتهى التلذّذ والاستمتاع مصاحبًا لكل ما يفعل، حولا غرفته إلى ما يشبه صالة (جيم) صغيرة، فلم يزدْ على أن انهمك أكثر وأكثر في الطعام معوضًا ذلك المجهود الشاق الذي أمضاه في تدوير (العجلة) لمدة دقيقتين أو تلك الطاقة التي أهدرها على (المشايّة) ربع ساعة كاملة....!!

أمَّا (عادل) نفسه...

أمَّا (عادل) نفسه فلم يكنْ يرى المأساة فيه هو بقدر ما يراها في المجتمع الذي يعيش فيه.. مجتمع اعتاد أن يحيا بمنطق القطيع، يتشابه أفراده في الشكل والملابس والاهتمامات والسخافات، وماعداهم، أو ما شذّ عنهم فهو غريب مُستهجن، لا مكان له.

يرغمه وزنه على الالتصاق بالكرسي، ويرغمه الكرسي على التهام الكتب، يعرف من خلال مطالعاته (صلاح جاهين) تبهره موهبته في الرسم والأشعار وكتابة السيناريوهات، يتأمل (عادل) نفسه مرارًا في مرآة لا تحتويه، حجمه يتجاوز إطارها، رغم ذلك يجد نفسه متسائلًا... ماذا يضيرهم لو كنت بدينا؟! أو حتَّى مفرطًا في البدانة؟! ربما أصبح يومًا مثل (صلاح جاهين)...!!

لكن المشاكل بدأت تظهر مع وجود لحظة حتمية.

لحظة يجب أن يواجه فيها المجتمع، ويمتزج به، ويتعايش معه، الأمر الذي كان يبدو مستحيلًا مع مظهره الذي يثير سخرية كل من حوله.

آلمه أن يكون مُتهمًا بالعنف والقسوة في التعامل مع زملائه، رغم أن رد فعله يكون منطقيًّا إزاء ما يتعرض له من إيذاء لفظي وبدني أحيانًا، لكن رد الفعل هذا قد يؤدي بأحدهم، يكفي أن تطول كف (عادل) الممتلئة قفا أحدهم ليكون قد نال من الجزاء أقساه، أمَّا إذا سيطر (عادل) عليه وطرحه أرضًا وجثم فوقه فهنا قد تقع الكارثة....!!

ابنك عنيف، وتصرفاته مع زملائه ستجلب على المدرسة مشاكل لا تنتهي مع أولياء الأمور.

يحاول والده أن يقنع مديرة المدرسة متعشمًا في رجاحة عقلها، تجيبه بشهادة طبية تثبت أن زميله يعاني مشاكل في التنفس، وأنَّه لولا ستر الله لمات ولانتهى مستقبل ابنه نهاية مفزعة، يتفهمّ والده الأمر، تنقضي المشكلة بعد أن يقدم اعتذارًا لأولياء الأمور، وبعد أن يتلقّى سيلًا من النصائح لا يشتمّ فيها إلَّا رائحة التوبيخ و(القرّ) على صحة ولده الذي يوشك أن يفتك بأبنائهم الضعفاء.

الأب يتفهم جيدًا أن ما يعانيه (عادل) هو أزمة فيمن حوله قبل أن تكون أزمته هو، لكنَّه لا يصرح بذلك أمام ابنه حتَّى لا يكون في ذلك تشجيع لرد فعل قد يقوم به (عادل) فتكون فيه نهاية مستقبله، يجد في النصيحة بغيته، يعلم أن (عادل) مطيع... سيحاول، وسينجح.

"..... فإذا لقيت نفسك غاضبًا وتوشك أن تقوم بأي عمل شرير أو متهور، عد فقط من واحد لعشرة".

يتلقّى (عادل) النصيحة، ويبتسم ابتسامة تجمع بين الرضا والاقتناع.

مرّ يومان... استشعر زملاؤه بعدهما أنَّهم في مأمن من رد فعله.

يعرفون -كما يعرف- أن سلوكه مراقب فلن يجرؤ على البطش بهم إذا أذوه أو سخروا منه أو حتَّى رشوه بالرمل في الطريق أو حوش المدرسة.

يعرفون بأمر والده الذي توسل لآبائهم -كما أقنعهم آباؤهم بذلك- لكي يسامحوا ابنه، متعهدًا لهم بأنَّه لن يكررها مهما فعلوا.

يعرفون أن وزنه لن يتيح له اللحاق بهم إذا توخوا الحذر وجروا في اللحظة المناسبة متفرقين هنا وهناك، وبأقصى ما يملكون من سرعة.

يعرفون الكثير مِمَّا سيغريهم بالتعرض له مرة ومرات.

أمَّا ما لا يعرفونه فهو أن (عادل) لن يتعرض لهم لسبب أهم من كل ما سبق.

إنَّها وصيّة أبيه له.

يسيرون خلفه، ناوشوه في البداية ببعض الألقاب المُستهلَكَة تندُرًا بسمنته المفرطة، تحاشى النظر إليهم، ابتسم واثقًا من كونه يفعل الصواب.

صمته يدفعهم للتمادي، قذفه أحدهم بورقة كورها بيده، شعر بها (عادل) تصيب مؤخرة رأسه، لم يزد على أن هز كتفيه في عدم اِكتراث، يقول لنفسه:

- هه... لم توجعني...!!

الثاني يتفنّن في إظهار إحدى لوحات (عادل) التي رسمها ووضعها بنفسه في حجرة نشاط التربية الفنية بناءً على طلب من مدرسة الرسم، استطاع الملعون أن يتسلل ويسرقها، يتأكد أن (عادل) رآها، الآن تطل من عيني (عادل) نظرة قلق مشحون بالحزن والتهيؤ للخسارة، وهنا يبدأ الملعون في تمزيقها قبل أن يبددها قِطعًا على الأرض، يهز (عادل) كتفيه معلنًا اِستسلامه لقدر لوحته.

- وماله؟ الليلة سأرسم غيرها؟!

الثالث يلعب دورًا أكثر تجاوزًا، يتبادل نظرات مع زملائه لمؤخرة (عادل)، يفتح ذراعيه في إشارة لحجمها (الكاريكاتوري) المثير للضحك والرغبة في ضربها، ينفجر الملاعين ضحكًا، يشير إليهم الثالث بالصمت، يتسلل حتَّى تفصله مسافة تسمح له بركل (عادل) في هذا الموضع الحساس.... وهنا....

وهنا لم يجدْ (عادل) مفرًا من اتباع نصيحة أبيه، ولعلها تنقذه من الإتيان بأي رد فعل غير محسوب، إذ كانت ثورته داخله قد بلغت ذروتها.

وبدأ (عادل) يعد....

واحد... صديق واحد كان وجوده يمثل لـ(عادل) معنى الصداقة الحقيقية، (رؤوف) صاحب الجسد المتناسق والعقل الراجح واللسان الذي يقطُر حكمة وعذوبة وقدرة على الإقناع، وجوده كان صمام أمان لـ(عادل)، كثيرًا ما وقف بينه وبين هؤلاء الملاعين، تؤهله قدراته في الحديث بإقناعهم أن يكفوا الأذى عن زميلهم الذي لم ولن يخطئ في حقهم، سافر (رؤوف) مع والديه إلى أمريكا، وبسفره فقدَ (عادل) رُكنًا كان يؤمِّن له البقاء في هذا المجتمع دون أن ينتابه إحساس بالغربة.

اثنان.. لونان اثنان يعشقهما (عادل) الأسود، تقول مدرسة الرسم أن الأسود ليس لونًا، إنَّه غياب الألوان، لماذا لا يشعر بهذا؟ على العكس... وجود الأسود قد يفرض سيطرة، يحدد باقي المساحات، يضمن بقاءها دون أن تتوه أو تتشوّه.، يدافع عنها ضد التوهان في مساحة الورقة البيضاء التي تبدو له دائمًا واسعة يخشى أن تضيع فيها أشكاله وشُخوصه... البنفسجى، بما له من حيادية وطيبة، تجعله يقف بين مجموعتين متناقضتين من الألوان، يقع عليه بصرك للوهلة الأولى فتحسبه الأزرق بصمته وهدوئه وقدرته على بعث الطمأنينة، فإذا تأملتّه عرفت أن به چـينا من لون آخر يضجّ بالسخونة والعُنفوان... إنَّه الأحمر القاني.

ثلاثة... أسابيع ثلاثة لا تُنسَى في الغردقة برفقة والديه، في الشاليه المجاور تظهر (رؤى) كوميض خاطف يبدد ظلمة الأرض، عيناها واسعتان، تزدادان اتساعًا كلما تلاقيا، الفضاء فيهما بلا حدود، كأنَّهما خُلِقتا لاستيعاب جسده الممتلئ بالدهن والأحلام، تُكسِبها شمس أغسطس ومذاق اليود حُمرة النحاس، كم كان صعبًا أن ينقل هذا اللون إلى صفحات "اسكتش" البيضاء.

أهداها في نهاية المدة صورة لم تكتمل، تبادلا (الإيميلات) وأرقام الهواتف، بقيا على اتصال لمدة لا يذكر عمرها تحديدا، ثمَّ -ودون سبب واضح- خلا صندوق بريده من رسائلها، فقط... احتفظ بالرسائل القديمة في ملف باسمها، يمسح رقم هاتفها من ذاكرة محموله بعد عدة محاولات يائسة للاتصال، تتكرر إجابة آلية وكأنَّها وخز الدنيا بين ضلوعه.

لا زال الرقم رغمًّا عنه عالقًا بذاكرته، لم يمحِه أبدًا.

أربعة، أربعة أيَّام على ذمة التحقيق، العبارة التي طالما سمعها في مسلسلات التليفزيون، ترددها الآن جدران منزلهم الصغير، متى كان ذلك؟... يحاول أن يفهم، الأقاويل تتناثر عن مستقبل أبيه الوظيفي في "الحيّ"... أعمامه يتكلمون عن براءة أبيه، حين تضمُّه والدته في حضنها بقوة آخر الليل يستشعر أنَّها تحاول -عبثًا- تعويض الدفء الذي غادر البيت مع أبيه، سرعان ما

تتحسن الظروف، وتَثبُت براءة أبيه من تهمة التراخيص المخالفة، يتخلّى والده عن الوظيفة، يفتتح بتحويشة العمر مكتب استشارات هندسيَّة خاصًا به ليكون فيه حظ هذه الأسرة ونقلتها المادية والاجتماعية في زمن قياسي.

خمسة... أعوام خمسة مرت على وفاة جدّه، ما معنى أن يرحل أحدهم؟! يذكر اللحظة التي مات وكأنها تولد الآن، لجدِّه ملامح تمتلئ بأخاديد اجتهد الزمن في حفرها بعناية على مدار ثمانين عامًا، كلما حاولت أمه منعه من الدخول على جدِّه بُغية أنَّه بحاجة للراحة كان صوت جده يأتي من وراء الباب الموارب:

- دعيه يدخل يا (سامية)، أنا مرتاح أكثر وهو معي....

صوت جدّه -ورغم الوهن- يبدو حاسمًا، حين يدخل تعانقه ابتسامة الجد، يطلب منه أن يقرأ له "رباعية اليوم"، يعلم (عادل)- بانبهار- أن جدِّه يحفظ رباعيات "چـاهين" عن ظهر قلب... حين يختلس النظر من بين متابعة السطور إلى شفتي جده يجدهما تتحركان، تعجلان بما يقول، تُؤنِسان الكلمات التي يخرجها (عادل) بلسانه من بين صفحات الكتاب.

دخل الشتا وقفل البيبان ع البيوت.

وجعل شعاع الشمس خيط عنكبوت.

وحاجات كتير بتموت في ليل الشتا.

لكن حاجات أكتر بترفض تموت.

بغتة تتوقف شفتا جده... في البداية ظن أنَّه نسيّ السطر الأخير، ربما لا يحفظ هذه الرباعية، ربما عطش ويريد أن يشرب... ربما....

تنحسر الاحتمالات حين ينفجر الجميع بالبكاء، تحدثُه نفسه بأن الشتاء ليس قاتلًا، لقد مات جدّه، رغم أنَّهم في ذروة الصيف!!

ستة... ستة عصافير... زوج في كل قفص... شقشقاتهم التي تصكّ مسامعه عبر شرفة جارهم الأستاذ (شنودة) تحيى النهار كلما طلع نهار، تعلن عن وجوده وتثبته، يضبطُه ذات يوم وهو يراقب عصافيره محاولًا أن يرسمها، تفاجئه ابتسامة ودودة يرسلها الجار، لم تملأ سيرته المنطقة عن كونه عنيفًا، ليس له صاحب، يتحاشاه الناس؟! يبدو الرجل كأجود ما يكون الجيران، ويبدو أن الناس صارت تتحاشى كل ما هو جيد ونبيل وراق.

- أتحب الرسم؟!

- جدًا....

لم يزد (عادل) عن الكلمة، وكأنَّه التهم باقي الكلمات التي تعلمها في سنوات عمره، لا زال يتوجس من (شنودة).

- وهل رسمك جيد... أم.....؟!

استفزته العبارة... رفع "اسكتش" الرسم عاليًا يعرض في حماس ما كان يرسمه، دعاه (شنودة) ليزوره في بيته ويرسم العصافير عن قرب، رحل (شنودة) قبل أن يلبّي (عادل) دعوته، أودعه أبناؤه إحدى دور الرعاية، ولم يعد للعصافير من وجود، ولم يعد ثمَّ دليل على طلوع النهار في كل نهار.

سبعة... سبعة أعمال فنية لا تغادر ذاكرته غير المزدحمة، تلقّى من عبارات المديح حين شارك بها في مسابقة للرسم ما عجز عن استيعابه، فقط يشعر أنَّه في الطريق الصحيح، يتأمل صورًا التُقِطت له وهو يتسلم جائزته، ليس ناقمًا أبدًا على حجمه الذي يحتل نصف (الكادر) الحدود دائمًا خانقة، لا تتسع لذوي المواهب من أمثاله، حين انتقلت العائلة لمسكنها الجديد ضلّت تلك الصور طريقها إلى الحقائب المكدسة بالحاجيات، تأخذ الصور الذكريات وترحل في فوضى المكان، كأنَّها ترفض مغادرة الجدران التي ألفتها وحفظتها، دائمًا تبدو الصور في نظر (عادل) أكثر إخلاصًا من بني الإنسان...!!

ثمانية... ثمانية جنود في لعبة الشطرنج، كثيرًا ما يتأملهم في ازدراء، نفس الهيئة، نفس التفاصيل، الملامح واحدة، يسيرون بخطى بطيئة كأنَّهم يستأذنون الجدران والزمن وأرضية اللعبة قبيل كل حركة، كأنَّهم بلا طُموح، كأنَّهم قطيع البشر الذين يرفضون كونه مختلفًا.

كي يُصيب الجندي ترقية عليه أن يستحثّ الخطوة.

كي يُصبح الجندي وزيرًا عليه أن يكون غير ما هو عليه، عليه أن يخلع ملامح الجموع، وأن يلصق بوجهه وجسده ملامح جديدة.

رغم تفوقه في اللعبة يظلّ تعامله مع الجنود نقطة ضعف تُفقده الكثير، وتؤدي به إلى خسارة قلّما تحدث.

تسعة... تسعة أشهر ينقضي بعدها العام الدراسي، وتنقضي معه بذاءات زملائه وسخرياتهم، تسعة أشهر يعود بعدها (عادل) لصيقًا بمقعده، شاردًا بين متاهات الخطوط وبِرَك الألوان، مُستغرقًا فيما تُثرثر به الكُتب، يعاني بطء قطعان الجنود فوق أرضية الشطرنج، لم تعد اللعبة تجذبه، تبثُ فيه شعورًا بالرتابة والملل، ما بين مربع أبيض ومربع أسود ليس هناك فرصة لاختيار ثالث، الوقوف في منطقة وُسطَى لا يُرضي من حوله، ألّا يكون طرفًا، ألا يقبُع في كفة من اثنتين... أن يتشبثّ بحياد الحكمة يخالف قواعد اللعبة ويُطيح به خارجها.

عشرة.....

طنين يعشش في خلايا رأسه، يتمدد في شراينه ليملأه بالوساوس، لماذا تبدو حياته وكأنَّها قد خَلَت بغتة من كل ما رافقه وأحبه وبثّ فيه أملًا بأن الحياة لا زالت بكرًا، غضّة، جديرة بأن تعاش؟!

يتأمل (عادل) ما حوله، يفيق عند نهاية العد ليجد نفسه أمام باب منزلهم، يدخل ملفوفًا بالصمت فيزداد حجمه ضخامة، كأنَّه سينحشر في حلق الباب، فوق شفتيه ابتسامة.

ابتسامة غريبة لم تضِق معها عينُاه ولم تنتفخ معها خدوده، ولم تزِد ملامحه براءة.

ابتسامة تمزج بين الخُبث والتشفّي ونشوة الانتقام.

ابتسامة شهقت الأم حين لمحتها وتراجع الأب في مقعده متوجسًا، قلقًا، وهو يتأملها، لم يكن هذا (عادل).

ابتسامة تناسب تمامًا المشهد الذي خلـّفه وراءه بينما كان عقله مُنشغلًا بالعد.

ضمّ الأب (عادل) إلى صدره بقوة كانت تزداد كلما اقترب صوت سيارة الشرطة من منزلهم، بينما كانت سيارات الإسعاف تنقل جثث زملائه من فوق أسفلت الطريق بلونه الرَمَادى الكئيب، تتصاعد منه رائحة مُحمّلة بدّمِ الضحايا وذنوب البشر....!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نعناعة

ما الضرر في أن تزور (نعناعة) لليلة واحدة؟!

ما الضرر في أن تدخل عشتها القابعة عند مدخل القرية كأنَّها لافتة ترحيب بالرائح والغَادى، تملأ صدرك برائحة بخور هندي لم تردّ على القرية رائحته من قبل، تقترب من أصل الحياة والكائنات حين تفترش الأرض إلى جوارها؟!

ما الضرر في أن تنتشي ببعض النكات البذيئة التي ستلقيها على مسامعك بصوتها المليء بخدوش الأيام والمحن وإن كان لم يفقد حُنّو الأنثى، تتذوق طعامها المتواضع وتُحلّى بجسدها الخمري الذي يكاد ينخلع كلما أطلقت حنجرتها أنات الاقتراب والشبق؟!

ما الضرر في أن تشاركها تدخين الحشيش، تسلِب عقلك الواعي وعيه لدقائق أو حتَّى لساعات، تنفُض عنه ما تكدّس من معادلات الكتب ونظريات الفلاسفة والمنظـّرين، تستلقى بلا هدف، وتنهض لا تعرف أي وجهة تقصدها؟!

ما الضرر....؟!

ربما لو ذهبت الليلة لما استطعت أن تطولها، ربما وجدت رجال وشباب القرية مُكدّسين بالطوابير أمام باب عشتها المبنية بعلب الصفيح، تكسوها من الخارج طبقة من الملاط المدهون بالجير الأبيض، تفنن صبية القرية الذين لم يبلغوا مبلغ المراهقة بعد في ملئها بالشتائم والألقاب التي يعِفذ عن قراءتها اللسان.

ربما حتَّى وجدت أباك نفسه خارجًا من عندها.... فلا تندهش، فقط صافحه واطلب منه أن يدعو لك بالتوفيق والنجاح....!!

سمع عن (نعناعة) الكثير حتَّى راودته رغمَا عنه في أحلامه، تخيل ملامحها، رسمها بنصف موهبة في هوامش كتاب مادة الـ"بيولوچـي"، يتأملها كثيرًا حتَّى ينتزعه أذان الصلاة أو تُنبهه ورق النتيجة المعلقة إلى اقتراب موعد الامتحان، أراد كثيرًا أن يرى (نعناعة)، أو حتَّى يشمُّها، مِحور أحاديث الرجال والشباب في القرية، حتَّى في ذُروة تصاعد الأحداث وتغيير الحكومات وموجة الإضراب التي تجتاح طول البلاد وعرضها... يتكلم الجميع عنها وكأنَّها تفعل الأعاجيب، تُعيد الزمن وتسكب ماء الحياة في العروق المتيبسة، يقولون أنَّها ليست في جمال فتيات "الكليبّات" وليس لها عود الراقصات، ولكنها ساحرة، قادرة على إقناعك بما هو ضد العقل والمنطق، قادرة أن تُريك الحصان المُجنّح والجنّي (أبو عين إزاز)، قادرة على أن تبثّ فيك قدرة لهدم منازل القرية مثل

(شمشون) قبل أن تمتصها هي وتفاجأ بنفسك مُلقَى كخرقة بالية خارج حدود دولتها، عشتها الصفيح.

قالوا:

- إنَّه البخور، يجلبُه لها ساحر من الهند كل ثلاثة شهور، نحن رأيناه وعرفنا من ملامحه أنَّه غريب عن القرية، حتَّى ملابسه لا تشبه ملابس المصريين أبدًا!!

إنَّه طعامها، تضيف إليه بعض الأعشاب الشيطانية التي تزرعها في ركن داخل العشة، وتقرأ عليه قبل أن تمد إليه يدك مسميًّا بالله!!

إنَّه دهان تنقع فيه جسدها كل نهار قبل أن تجلس ساعة في الشمس، تترك أشعتها تتسلل من مسام جلدها إلى كل زاوية من زوايا الجسد فيرتوى بذلك الدهان السحري، ويثبقي على شهوتها مُتقدذة، وينقل عدواها لكل من يقترب منها!!

أخفق رجال وشباب القرية في الاتفاق على تحديد عمرها، لكنهم ارتضوا بكونها في الثلاثين، العمر الذي خمنّوه يرضيهم جميعًا، ولا يمسّ من فحولتهم المزعومة شيئًا، لو كانت أصغر من ذلك لأصبحت عيبًا يطاول شيبة الكبار منهم ويمسّ رجاحة عقلهم ورزانتهم، ولو كانت أكبر لأصابت شبابهم بخيبة أمل، ولفقدوا أحلامًا يعيشون عليها تُمنيهم بمُتع الحياة وهي لم تزل بكرًا.

كان كل ما حوله يلّح عليه بزيارة (نعناعة)، طنين يصم أذنيه عمَّا سواها، غمام ثقيل يسد السُبل أمام ناظريه حتَّى لا يجد غير مدخل القرية سبيلًا، ولكنه رغم كل ذلك لم يزر (نعناعة).

ربما استعاذ بالله حتَّى سأم منه شيطانه.

ربما طوتُه الدراسة الصعبة في كلية العلوم بين مراجعها، قبل أن تُسلمّه للوظيفة التي يقصدها بميعاد وينصرف عنها بميعاد.

ربما لم تلقَ سيرتها هوى في نفسه وهو الذي تعوّد ألَّا يشاركه فما يحبه أحد سواه.

غاية الأمر أنَّه لم يزرها أبدًا.

وبعد مرور ثلاثين عامًا لم يكن للعشة الصفيح أثر، ولم يكن لسيرة (نعناعة) معشوقة رجال القرية وشبابها ما يذكر، فقط كان الوافد إلى القرية يستقبله عند مدخلها مسجد الحاجة (نعيمة).

لا أحد يعلم متى استحالت العشة الصفيح ضريحًا، ولا من كان وراء ذلك، وحين جرت الأيَّام لم تذكر أحاديث أهل القرية شيئًا عمَّن تطوع جاعلًا من

الضريح زاوية للصلاة، ثمَّ زاد من بنيان الضريح حتَّى طاولت قامته قامة مسجد القرية الوحيد، قبل أن يحلّ محله، ويصبح مسجد الحاجة (نعيمة) وجهة المصلين خاصة في أيام الجمع والأعياد....!!

تناقلَ الكثيرون من شباب القرية -بل ونسائها- حكايات تقع مقام الأساطير عمَّا في المكان من بركات، بدءًا من رائحة البخور الذي يفوح من المكان ويعالج استنشاقه كافّة أمراض الصدر والرئة، إلى الأصوات التي تُصدرها جدران المسجد ليلًا، تردد كلام الله... قالوا:

- إنَّه صوت الحاجة (نعيمة) نفسها!!

- لا، بل هو صوت ملائكة تجتمع في مسجدها كل ليلة يقرأون القرآن على جسدها الذي لم يأكله التراب!!

- الحقيقة أنَّه صوت الموتى من الصغار الذين ابتلعهم مصرف القرية، يجتمعون حول الحاجة (نعيمة) لتُوزع عليهم من عطاياها!!

لم يكنْ صغار القرية وشبابها يعلمون شيئًا عن أصل المكان المقدس، بينما آثر كبارات القرية (شبابها منذ ثلاثين عامًا) صمتًا يحفظ لهم هيبتهم ولا يمسّ من سيرتهم ومآثرهم، الكل كان يخشى أن يذكر حقيقة المكان وصاحبته، الكل طالته في الماضي نجاسة يخشى الآن فضحها، للجميع عورات يسترها الصمت والكذب والإمعان في غضّ البصر ومغالطة النفس.

لذا لم يكن! أمامهم -وهم الذين عرفوا الحقيقة كما يعرفون أبنائهم- إلَّا أن يذعنوا للأمر الواقع، حاولوا في البداية إثناء الصغار والشباب عن ارتياد المكان.

- ولكنه بيت الله يا أبي، فلماذا نُـمنع عنه؟!

- قلت لا تذهب وكفى....

لم تكنْ (وكفى) تُقنع عقولًا صغيرة في بداية سعيها للتفتّح والفهم وجني ثمرات الوعي، ومع تفشّي موجة من الريبة والشك بين شباب القرية تجاه المسألة، آثر الكبار الصمت، انسحبوا إلى حدود ذكرياتهم التي تفوح منها رائحة الحشيش وعرق الرغبة، هزمتهم -دون مقاومة تذكر- العشّة الصفيح، ودحرتهم (نعناعة) حين انكتبَ لها تاريخًا جديدًا في سجلات القرية، تاريخًا سابقًا في القداسة والطُهر وفيوض البركة.

هو الوحيد الذي عاش بينهم دون أن تصمُّه العشة الصفيح وصاحبتها.

هو الوحيد الذي لم ينسحب أمام غيلان الخرافة، ولم تطفح على ملامحه بثور الهزيمة والانكسار.

هو الوحيد الذي خشي الجميع إن تكلّم فستنكشف سوءاتهم أمام أبنائهم وذويهم.

لذلك أجمع كبار القرية أمرهم على ضرورة إقصائه، أقنعوه بصيغة الأمر بنقل عمله إلى المدينة، جمعوا مِمَّا لديهم ليتكفلّوا بإيجار شقة تكون قريبة من محل عمله الجديد.

ولم يعد أحد من القرية يراه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الآن.

يمر من بعيد، ولا يفكر في الاقتراب.

يتأمل أطراف القرية الغارقة في أنوارها الزائفة، وحشود الزوار والمريدين.

يتناهى إلى مسامعه صخب وجلبة، أصوات فرقعات، طبول، إنشاد صوفي حلقات ذكر، فيعرف أنَّه المولد.

يبتسم ولا يطيل الوقوف، شيئًا فشيئًا يخفُت صوت الخرافة، يعلو صوت تردده خلايا مخه.

اييييه يا حاجة (نعيمة)، للجميع عورات يسترها الصمت والكذب والإمعان في غضّ البصر ومُغالطة النفس و.....

وإقصاء العقول!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هل نسيت شيئًا؟!

ما أن تغلق الباب خلفك حتَّى تنشب الوساوس أظافرها في ذاكرتك، عساك تتذكر ما نسيت....!!

هل نسيت شيئًا؟!

أوصدت النوافذ، أسدلت ستائرها، رتبت الدواليب (في الواقع أخليتها)، أغلقت المحابس العمومية للماء والغاز، دفعت أكياس القمامة إلى خارج الشقة كأنك تدفع ضيفًا ثقيلًا، لملمت ما بقى من طعام وأرسلته في علبة أو علبتين من البلاستيك لحارس العمارة، توقعت أن يودعك بابتسامة تفضح صفار أسنانه لكنه لم يكنْ موجودًا، دعت لك زوجته بالعودة سالمًا، بينما كان ابنها الصغير يطارد شقيقته في محاولة لنيْل نصيبها من قطعة لحم مسلوقة.

هل نسيت شيئًا؟!

ما أن تغلق الباب خلفك حتَّى يناديك شيء يقبع وراءه، بينكما الباب وذاكرة مُعتّلة ووساوس لا يفتُر عنادها!!

غسلت مقلاة وطبقًا أعددت فيهما إفطارًا بلا مذاق، غسلت فنجانًا حوى قهوة صباحية دون سكر، في عين المرحاض أفرغت مطفأة السجائر من جثامين تآكلت احتراقًا، رويت زهرتكما لآخر مرة ثمَّ توقفت تتأملها كأنَّك تسألها:

- هل تتوق نفسكِ لشيء قبل أن تموتي؟! تمايلت وكأنَّها تجيب أن: لا!!

أطفأت المذياع على صوت الشيخ (محمد رفعت) يتلو قصار السور، وأربت باب الثلاجة مُحررًا أسر الروائح المختنقة داخلها، أنزلت مفتاحًا مميز اللون في لوحة مفاتيح الكهرباء، عاندك قليلًا كأنَّه يدرك أهميته وتميزه على أخوته، أفلت مرة، طاوعك في الثانية، غمرت الشقة ظلمة خافتة مازجتها أشعة نهاريَّة تتسلل كخيوط عنكبوت متحفز من بين فرجات الشيش.

هل نسيت شيئًا؟!

ما أن تغلق الباب خلفك حتَّى تنتابك رغبة في البقاء، تنبت الجذور في باطن قدميك لتدقك في الأرض كالوتد، تغلفك الوساوس كأنَّها شرنقة تأبى معها لحظة الميلاد أن تطل!!

تحسست جيوبك، جواز السفر، التذاكر، المحمول، رزمة ريالات، بضعة جنيهات قليلة تكفي تحركّك حتَّى بلوغك المطار، ما بقى من أموالك بالعملة المحلية دسسته في جيب حقيبة السفر أسفل أكوام الملابس، كأنَّك تدفنه فلا أمل في يوم يُبعث فيه للحساب!! اعترضت سلسلة المفاتيح في جيب البنطال طريق أصابعك كأنَّها مطب صناعي بينما كنت تتجاوز باب العمارة إلى الشارع، استعدت صوتًا تشيك، تشيك، تكرر ست مرات وأنت تغلق طبلة الأمان في باب الشقة، مددت بصرك إلى الشرفة، كانت حبال منشر الغسيل -لا تدري لماذا بدت كأسطر الكتابة- خاوية...!!

هل نسيت شيئًا؟!

ما أن تغلق الباب خلفك حتَّى تستشعر نقصًا في أجزائك، أفكارك، حاجياتك، مهامك اليومية، الوساوس تصر على أنَّك مخطئ تلح في جدالها المزعج!!

- لقد نسيت شيئًا... نسيت شيئًا... نسيت شيئًا... شيئا... شيئًا..!!

- تبًا لك... قولي ما هُو، أو فلتخرسي!!

تحاور وساوسك، يعلو صوتها في جنبات رأسك، تبُادلها صياحًا بصياح، يعلو صوتك في الشارع، تتلقّى نظرات هي خليط بين الاستنكار والشفقة واعتياد الهوس!!

يقف التاكسي، يساعدك السائق في وضع الحقائب في شنطة السيارة، واحدة، اثنتان، وهذه التي على كتفك ستكون إلى جوارك، ستكون على ركبتيك، ستكون تحت قدميك إذا تعبت، ستكون تحت رأسك إذا نمت، هي اشترت لك هذه الحقيبة في آخر عيد لكما معًا!!

- حقيبة سفر؟! ألا ترين هذا فألًا سيئًا؟!

قلتها على سبيل المزاح، ابتسمت...

- لكنك تسافر بالفعل كثيرًا، وجدتها تليق بك وبمظهرك ومنصبك الجديد.

قلتها على سبيل المزاح، لكن ثمة كائن في داخلك لم يبتسم، وحده أحسّ عبارتك وكأنها نبوءة.

ما أن تغلق الباب خلفك حتَّى تنفتح أمامك طاقة من وساوس لا تنتهي، تخطو، تتوغل -مُنقادًا خلف الفضول- فيها، تريد أن تُصدق لعلها خلاياك تهدأ، تريد أن تتذكر لعلك تبلغ كلمة النهاية....

هل نسيت شيئًا؟!

للوساوس فائدة، تختصر الطريق، تلهيك عن ثرثرة سائق يشكو -ما أشكوه أنا وأنت- من غلاء وزحام وتلوث، ربما تشفق، ربما تزيد فوق ما اتفقتم عليه مسبقًا من أجرة، تمتد أصابعك -تلقائيًّا- تتحسس حافظة النقود، فارغة إلَّا من بطاقات الائتمان والشخصية ورخصة القيادة المائتة منذ عامين، متى مرّ عامان؟! لم تطأ فيها قدمك دواسة البنزين، أغلقت على نفسك باب شقتكما دون بكاء، دون وعي، دون أن تفهم، قال الأطباء أن جهازك العصبي يتعامل مع الفاجعة بلا مبالاة حتَّى لا ينهار وتنهار، تركت عملك وتفرغت لتأمل صورتكما، راحتك على بطنها العالية كأنَّها تتعجل خروج ما في الحشا من (نور) بعد تأخر اثني عشر عامًا، اتفقتما على الاسم، تصمت بالساعات، تزهد الطعام بالأيام، تهمل لحيتك بالشهور، ثمَّ ماذا؟! تتكلم... تأكل... تُهذّب لحيتك تهيئة لحلقها، أزهقت روحين، فأي عقاب هزلي هذا؟!

- هل نسيت شيئًا؟! لعلها الصورة.

تلحّ الوساوس.

- الصورة بين صفحات كتاب "قواعد العشق الأربعون" الذي كان يلازمها؟!

- والكتاب؟!

اخترت أن يقبع في قاع الحقيبة كأنَّك تؤمن وجوده، كأنَّك تخشى أن يفرّ!!

تُجيب ظنًّا أنَّك تسدّ الطريق أمام وساوسك، لكنَّها أبدًا لا تكف عن اللحاق بذاكرتك التي تحاول الابتعاد!!

في المطار ينتابك شعور بأنَّك لم تعد أنت، صرت هم، صرت وجهًا بين مئات الآلاف من الوجوه من الصعب أن تميزه، هنا الانتظار والترقب يجعلان الملامح كلها تتشابه، هنا يفتشون كل شيء، هنا يعبثون في كل شيء، هنا يقلبون الحقائب، الأفكار، الأحلام، كل ما عليك أن تمتثل إذا أردت الانعتاق من الأرض إلى السماء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حين استوقفتك بشعرها الأسود الذي يبدو مستعارًا استغرق الأمر منك ثواني قبل أن تفهم أنَّها تكلمك أنت.

- لو سمحت... ألديك فكرة عن الطريق لبوابة B2؟!

هممت بالإجابة لولا أن باغتتك بسؤال آخر.

- طارق نوح؟!

- هل أعرفك؟!

أزاحت خصلة من شعرها الذي حسبته مستعارًا.

- نورا رسلان.

هل نسيت شيئًا؟!

تتشكل الملامح من جديد، تنادى الملامح على الذكريات مرة أخرى، تعانقك الذكريات كأنَّها آخر ما يودعك على أبواب الوطن، تُدرك أن (نورا) تغيّرت عن سنوات الدراسة، ملاحظة بلا معنى ولا قيمة.

- أنت أيضًا تغيّرت، البلد تغيرت، الثقافة والتوجه العام تغيّر.

كانت ترشف قهوتها الأمريكية أمامك وقد لبّت دعوتك لقتل الثلاث ساعات المتبقية، هل صارت فكرة القتل مألوفة بالنسبة لك؟! ترتسم في ذهنك أقواس تحيط بالـ(ثقافة) و(التوجه العام)، لا زالت مفردات (نورًا) كما هي، على الأقل هناك أشياء لم تتغيّر.

عرفت أنَّها تزوجت وطُلِقت مرتيّن لعدم قدرتها على الإنجاب، لا زالت تتشبثّ بعملها كمراسلة إعلامية، غضب عليها أرباب النظام السابق ثمَّ أعادتها أذيالهم لموقعها القديم، ظلّت كما هي لا تتحرك في اتجاه ترقية أو منصب قيادي، رضيت فقط بالعودة وزهدت حقها في المزيد....

- كيف تزهدين ما لا يمكنك بلوغه؟!

- بالإقناع، أدرب نفسي على الإقتناع بكل ما هو متاح، الطموح في عالم تعسّ كعالمنا هو الجنون بعينه.

هل نسيت شيئًا؟!

الحركة حولك لا تتوقف، الناس تروح وتجيء، تمتزج رائحة العرق لتكتشف -للمرة الأولى- أن العَرَق لا جنسية له و لا دين، (نورا) تتكلم بينما الوساوس

تصمّ أذنيك من آن لآخر، هالتان سوداوان تحيطان بعينيها دون أن تقللا من جاذبية لونهما العسلي الفاتح.

- كأنك لم تنامين بالأمس.

- ولا أول أمس وحياتك، احتاج السفر مني هذه المرة تجهيزات فوق المعتاد، وتخيّل رغم ذلك....

كان فنجانها قد اقترب كثيرًا من شفتيها فمنحتهما -شفتيها- هدنة لتبتلا بسخونة القهوة ومرارتها قبل أن تضيف:

- نسيت وضع الكاميرا في حقائب السفر، أوَ تدرك مدى أهمية الكاميرا بالنسبة لي؟!

لم تكنْ تنتظر إجابة لسؤال يبدو -كملاحظتك السابقة- بلا معنى ولا قيمة.

أخرجت علبة سجائر فاخرة والتقطت من داخلها سيجارة رفيعة راحت تنفخ دخانها وكأنَّها ترسم به أشكالًا توشك أن تكلمها، انفتحت شهيتك -بدورك- للتدخين وأنت تستعيد ملامح (نورا) القديمة وهي تتقاسم معك امتصاص التبغ من نفس السيجارة، كنت و(نورا) مثار رهان كبير على أنكما مشروع زوجين، أو -حتَّى- خطيبين، لكنها هي لم تلمّحْ، وأنت لم تحاول، وظل القاسم المشترك بينكما هو تبغ السيجارة المحترق، ومحنة اسمها "مذاكرة ليلة الامتحان".

- لماذا؟!

- كلاكما لا يدري..!!

- بالمناسبة، متى خلعت الحجاب؟!

- صدقنى لا أذكر... كل ما أذكره أنني وجدت شعري فجأة قد تعرّى....

وصمتت قليلًا تتأمل كائناتها الدخانية قبل أن تضيف:

- أغلب الظن أن زوجي الأول كان ضالعًا في هذه المسألة، لا أقصد أنَّه أمرني بشىء، لكن عمله في مجال السينما، طريقة كلامه، أسلوب تفكيره، أصدقائه، كل هذا أغفلني شيئًا فشيئًا عن أشياء كثيرة، كان الحجاب من بينها.

هل نسيت شيئًا؟!

أشعلت سيجارتك وسحبت تبغها كأنَّك تجذب الأيام البعيدة لتقترب، كأنك تمتصّ رحيق ذكريات لا مثيل لمذاقها، حكيت عن نفسك كأنك تجامل، ليس من اللائق أن تعرف عن (نورا) كل شيء ثمَّ تصمت، الفضفضة في مثل تلك

الحالات أشبه بـ(عزومة) على الطعام والشراب، من اللياقة أن تحكي، وأن تحكي كثيرًا بحيث تملأ مائدة الساعات المتبقية.

- (طارق)، اطرح عن ذهنك فكرة أنك مُذنب، إحساسنا بالذنب يقتلنا ولا يعيد الحياة لمن فارقوا.

تتواتر النداءات عن حالات الوصول والإقلاع والتأخّر في أرجاء المطار الواسعة، أصوات آلية لا تشتّم فيها أدنى رائحة لشعور بفرح أو حزن أو قلق، كل شيء يلمع، غاليًا كان أم زهيدا أم.... بخسًا، كل شيء يبدو كاملًا لا تشوبه نقيصة ما، ربما لهذا السبب ينعدم إحساسك بقيمة كل شيء إلّا الانتظار، أنت هنا -فقط- لتنتظر، ولا شيء آخر.

لماذا يبدو الأمر وكأنه غريبًا بالنسبة لك؟! لماذا تبدو وكأنك تائه؟!

هل نسيت شيئًا؟!

- تُذكّرك بـ(علياء)، أليس كذلك؟!

لـ(نورا) قدرة خاصة على التقاط التفاصيل، تنمو هذه القدرة وتزداد كفاءتها حين يتعلق الأمر بك أنت، لذا لم تغفل عيناها نظراتك التي تسمرت باتجاه إحدى المضيفات، كانت رشيقة، لها عينان فرعونيتان أبرز الكحل جمالهما، وشعر بلون جذوع الأشجار ولون نحاسي يجعلها أقرب لإحدى إلهات الهند قديمًا، لم تغفل عينا (نورا) نظراتك، بارعة في تحليل لحظات شرودك، على الأقل هناك أشياء لم تتغير.

- أعرف أنَّها فضلت العمل كمضيفة بعد التخرج مباشرة، لكن كيف هي بعد كل هذه السنوات؟!

- قابلتها مرة بالصدفة في إحدى رحلاتي كان هذا منذ خمسة أعوام تقريبًا.

صمتت تستعيد الأحداث، ترتبها في خانات كأنَّها كلمات متقاطعة لتضيف بعدها:

- لم نتكلم كثيرًا، تقريبًا تبادلنا أرقام المحمول فحسب، ثمَّ حدث شيء ما، ربما سرق المحمول، لا... كانت مقابلتي لها بعد حادثة السرقة تلك، حدث عطل اضطرت معه لمسح كل شيء من ذاكرة الجهاز.

- في رأيك، متى ينجح العلماء في مسح ذاكرة الإنسان وقتما شاء؟!

نسيت شيئًا.

أنت -بسهولة- تنسى الأشياء، لكنك-رغم ذلك- تجاهد لتتذكرها.

هل تكلمت (نورا)؟! هل قالت تلك العبارة؟! أم ترى هو صوت وساوسك؟!

- أين ستقيمين هناك؟

- في فندق ".....".. اعتدت عليه في زيارات سابقة.

- كيف يمكن لنا أن نتقابل ثانية؟!

ابتسمت (نورا) ابتسامة ملأت وجهها نضارة، بدت لك -إذ ذاك- وكأنَّها عادت تجلس في مدرج المحاضرات.

- لا تضع خططًا إذا أردت أن نلتقي، فيما مضى كنا نضع خططًا كثيرة، للخروج، الرحلات، المذاكرة، التزويغ من المحاضرات، فتفشل كلها... لكن الصدفة لها ترتيبات أخرى تصيب الهدف دائمًا.

قالتها وهي تدس بقايا سيجارتها في المطفأة الموضوعة بيننا فوق المنضدة....

- اُنظروا لي، وتأملوا جيدًا.

فأنا لا أطفئ سيجارتي.

بل أغرسها لتنبت ألف سيجارة.

أحصدها جميعًا في مساء اليوم التالي!!

اتسّعت ابتسامة (نورا) حتَّى ملأت وجهها، بل ملأت الحيّز الذي يفصل بينكما، قبل أن تقول:

- أما زلت تذكر هذه الأبيات السخيفة؟!

- ليست سخيفة أبدًا، كان لك باع كبير في الكتابة منذ أيام الجامعة، وهذه القصيدة بالذات لا زلت أحفظها، أنت فعلا تزرعين بقايا السجائر لا تطفئينها.

تنفتح البوابة، الآن تجتاز المسافة الفاصلة بين الأرض والسماء، بين الوطن والغربة، بين الواقع والذكرى، تستقل الباص إلى الطائرة، (نورا) لا تزال في مجال رؤيتك، هي أيضًا ترمقك بنظرات كأنَّها تحاول أن تُذكِّرك بكل ما مضى، تتبادلان الابتسام بين حين وآخر كأنكما تتعارفان من جديد، تصعد السلم إلى طائرتك، تسبقك بدرجتين، تنفذان إلى أحشاء الطائر المعدني العملاق، من يدري؟! ربما يكون مُقدّرًا لكما أن تولدا مرة أخرى في مكان وزمان أكثر ملائمة!!

هل نسيت شيئًا؟!

- ربما هي الأحزان!!

أخيرًا تجيب وساوسك، نسيت أحزانك، أو... ربما كان هذا ما تريد فعلًا، وإن كنت مخطئًا، فلم يعد في حيز الوقت ولا الذاكرة متسع لتتذكر، ستحلق الفرصة قبل أن تحلق طائرتك، تتوه في الأفق، والآن... ليس ثمة ما تفعله سوى أن تضبط وضع مقعدك، وتربط حزام الأمان، وتغلق المحمول بعد أن تعيد الاطمئنان على وجود رقم (نورا) الذي أملته لك منذ دقائق، ثمَّ تحلق مع من يحلقون.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صورة فحم!!

صمت صرير الفراش، ثمَّ توقف لهاثهما بعد دقائق لتقول له:

- لم يكفّ عن السعال طيلة اليوم.

يعرف، كاد سعاله يُفقدِه تركيزه ويقطع عليه نشوته أكثر من مرة.

- شكا لي دخان الشيشة والسجائر الذي يملأ صدره طيلة اليوم في المقهى.

- غدا آخذه لـ(مكرم) الصيدلي يرى لشكواه تصريفة.

قالها وهو يدُسّ نصفه الأسفل في بنطال (كستور) قبل أن يلقى (كرشه) الممتلئ على الحشية القطن، لمحها وهى تُلملم شعرها وتشبكه ببنسة -لا شك لديه- صدئة بعض الشيء، عبث الليلة ترك آثار كرمشة على قميصها الأخضر القصير، عند ذاك اكتفت عيناه من المشاهد حوله، مشاهد تكررت عشرات المرات، لكن -لحسن الحظ- لمْ يكنْ أي منهما ليملك رفاهية شعور اسمه "الملل"...!!

حاول أن ينام، لكن السعال عبر الجدار المُجاور لا ينقطع، غدًا سيضع حلًا لذلك السعال المستمر.

الولد يحب الرسم والألوان، لا يهدأ صدره إلَّا أمام كراس الرسم.

- لماذا لا تذهب به إلى جارتنا (أبله رضوى)...؟!

- (أبله رضوى)!!

تلك الشابة ذات الخمس وعشرين سنة، والتي أيقن من خلال جمال عينيها القابع منسيًّا في منطقتهم أن (الشباب عميوا)... حتمًا ما عاد في البلد رجال، كلما صادفها على السلم هم أن يفاتحها في مسألة ابنه، صوتها في (صباح الخير) يلهيه عمَّا ينوي كل مرة يستعيذ، وقد نوى أن يفاتحها في المرّة القادمة، المرّة التي لا تأتي أبدًا...!!

- سأكلم (أبله رضوى) بخصوصه.

هز رأسه كأنَّه يوافق، تواضع تعليمه لمْ يغفلْ عينه عن موهبة ابنه.

لكن....

حاجته له في المقهى تُجبره على النظر إلى رسوم الولد بكثير من التجاهل، يومًا تفاجأ -صدفة- بصورة له رسمها بقطعة فحم استلَّها من المقهى، كل ما في الشوال -لاشك- احترق وملأ الصدور دخانًا وألمًا وسعالًا، وبقيت هذه في

الدرج العتيق جوار الورق تخلق وتشكل، الصورة لا تخلو من بعض عيوب لكنها.... مُدهشة، نعم... هذا هو الوصف الذي يُناسب كلتيهما... عقليته و(الرسمة) المطويّة نصفين في خجل وانزواء!!

رغمًا عنه أصبحَ يراقب الفحم في الأجولِة، لاحظ أنه (يَخَسّ) مع الوقت فوق المعتاد، عقابه لن يجدي، وهو يحتاج وجود الولد، لكنه يحتاج الفحم كذلك، كلاهما -في الحقيقة- يحتاج الفحم!!

- خفّ يدك قليلًا عن فحم القهوة، لقد اشتريناه للولعة وليس للرسم.

تقلّب في الفراش على الجانب الآخر، فقط لو يُنهي الكبير فترة تجنيده ويعود، ربما كان في ذلك حلّ، الكبير دائم الهروب والسجن، ضاعف المغفل فترة تجنيده وضاعف -معه- انتظار الأب و.... سعال الشقيق الصغير، لو يفهم الناس كيف يدفع كل منّا ثمن أخطاء الآخرين لصارت الأرض غير الأرض...!!

السُعال يكاد يذهب بالنوم إلى لا رجعة....

بقى على البطولة أسبوع واحد، ستمتلأ القهوة بالزبائن، موسم رواج ربما لن يتكرر قبل عشرين عامًا أخرى، سيسهر الجميع حتَّى الصباح، سيصمد... كما سيصمد منتخبنا للأدوار المتقدمة، بقاؤنا في البطولة يضمن استمرار تدفق الزبائن، لن يكون ولده أقل الموجودين انتماءً، رغم المعاناة سيشجع، رغم السعال سيدعو للمنتخب بالفوز، رغم التعب والإجهاد سيتمنى لو بلغ فريقنا مباراة النهائي سيكون رجلًا... سدّادًا، ماذا لو وعده بأدوات رسم جديدة، قطعة فحم، هه... قطعة؟! شوال فحم يرسم به حتَّى يشبع!!

تلحّ الأفكار، والسعال، وشخير المَرَة التي تعاني الجيوب الأنفية بشكل مزمن.

الولد يحب الرسم، الولد موهوب... سيبّلغ (أبله رضوى) المرة القادمة، السعال... السعال... صدر الولد لا ينشرح إلّا بالألوان، فقط لو يعود الأكبر، البطولة تقترب...!!

تلحّ الأفكار، والسُعال، وحر لا يدري مصدره يتواطأ مع الجميع ضد نومه.

- غدا آخذه لـ(مكرم) الصيدلي....

قالها بصوت لم يسمعه سواه.

مُقنعًا نفسه أن في ذلك راحته.

ونومه.

حتَّى ولو استمر السعال في الغرفة المجاورة!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المؤلف:

د/ محمد عبد السلام عبد الصادق.

كاتب وفنان تشكيلي من مواليد 1977م.

حصل على درجتي الماجستير والدكتوراه فى تاريخ الفنون من جامعة الإسكندرية.

صدر له:

- "وقد ارتضيت الموت فيك" - ديوان شعر بالفصحى- الناشر: المؤلف - 2009م.

- "العشق في زمن اللاعشق" - ديوان شعر بالفصحى- الناشر: المؤلف - 2009م.

- "أحزان المدينة" - ديوان شعر بالفصحى- الناشر: المؤلف - 2009م.

- "لو بس مرة تحلمي"- ديوان شعر بالعامية المصرية - الناشر: دار "أُكتب" للنشر والتوزيع – القاهرة - 2012م.

- "كاريكتاب - كتاب معجون بمية الكاريكاتير" - الناشر: دار "أُكتب" للنشر و التوزيع – القاهرة - 2013م.

- "من غير نظام" (مقالات) - الناشر: دار "أُكتب" للنشر والتوزيع – القاهرة - 2015م.

- "آخر تختة في عينيكي" - ديوان شعر بالعامية المصرية - الناشر: دار "أُكتب" للنشر والتوزيع - 2015م.

- "11 قصة قصيرة 6 من المبدعين" - مجموعة الأعمال القصصية الفائزة في مسابقة مركز الحرية للإبداع بالإسكندرية (الدورة الأولى) - الناشر: صندوق التنمية الثقافية بوزارة الثقافة – الإسكندرية - 2013م.

- "نجمة شباك" – رواية - الناشر: دار "أُكتب" للنشر والتوزيع – القاهرة - 2016م.

- حصل على المركز السابع في مسابقة "كتاب اليوم" الأدبية (فرع شعر العامية) والتي نظمتها دار "أخبار اليوم" بالاشتراك مع المجلس الأعلى للشباب عن ديوان "طراطيش كلام" - 2010.

- حصل على المركز الأول في مسابقة مركز الحرية للإبداع بالاسكندرية للقصة القصيرة عن قصة "عزف منفرد" - 2013م.

- شارك في مسابقة مجلة "دبي الثقافية" فرع القصة القصيرة - 2015م.

- ندوة أدبية لمناقشة دواوين: "وقد ارتضيت الموت فيك"، "العشق في زمن اللاعشق"، "أحزان المدينة" - قاعة "توفيق الحكيم" - مركز الحرية للإبداع بحضور الشاعر محمد فرج – الإسكندرية - 2011م.

- ندوة أدبية لمناقشة ديوان "لو بس مرة تحلمي" - قاعة "توفيق الحكيم" - مركز الحرية للإبداع بحضور الشاعرين د/ يسرى العزب، أ/ جابر بسيوني - 2013م.

- حفل توقيع كتاب "كاريكتاب" - معرض القاهرة الدولي للكتاب - جناح مكتبة "فكرة" للنشر والتوزيع - مكتبة الإسكندرية - 2 أبريل 2013م.

- حفل توقيع ديوان "آخر تختة فى عينيكى" - معرض القاهرة الدولى للكتاب - جناح مكتبة "بصمة" للنشر والتوزيع - مسرح "محمد عبد الوهاب"- الإسكندرية - 7 مارس 2015م.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

عن الرواية..

إهداء

إنَّهم لا يستحقون

بنار الفرن

اطمئن

أطياف

الذي عــاد

انفصام

جــريــمــة

صخب الخريف....!!

[1]

[2]

[3]

[4]

[5]

[6]

[7]

[8]

كما أعرفه

مترو

من واحد لعشرة

نعناعة

الآن.
صورة فحم!!
المؤلف: